القسم الدراسي

الفصل الثاني

الكتاب ومنزلته

obeikandl.com

obeikandl.com

توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه

جميع المصادر التي ذكرت الكتاب، أَو أَشارت إليه، أَو نقلت عنه تنسبه للصفدي، وجميع مخطوطات الكتاب تنسبه إليه، وهو قد أَشار إلى بعض فصولـه في كتبه الأخرى، فمثلا:

قال:[1] " وأَما أحـوال العين في البكاء فقد عقدت له فصلاً في كتابي " لذة السمع في صفة الدمع "[2].

وقال: "[3] والناظر: هو السواد الأصغر، والإنسان يكون في الناظر، لأَنه كالمرآة إذا استقبلتها رأَيْتَ شخصك فيها، والعامة تسميه "البؤبؤ"، قال أبو الطيب[4]:

جَارِيَـــةٌ طَالَمَـــا خَلَـــوْتُ بِـــهَا تُبْـــصِرُ فِي نَـــاظِرِي مُحَيَّاهَـــا

---

(١) صرف العين ٥٢ / أ.

(٢) لذة السمع ١٥ / ب.

(٣) صرف العين ٥٣ / ب.

(٤) أبو الطيِّب، أحمد بن الحسين، الجعفي، الكوفي، الكِنْدِي (٣٠٣ ـ ٣٥٤ هـ) أشهر شعراء العربية، ولد في الكوفة، ومدح سيف الدواة الحمداني في حلب، وكافور الإخشيدي في مصر، وابن العميد، وعضد الدولة في فارس، ثم رجع من شيراز يريد بغداد، فقتل في الطريق بالقرب من النعمانية، وديوانه مشهور. انظر: يتيمة الدهر ١ / ١١٠، وبغية الطلب ٢ / ٦٣٩، ومرآة الزمان " طبع بغداد " ١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٦ / ١٩٩، والعبر ٢ / ٩٤، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٢٤٤، ودول الإسلام ١ / ٢٢٠، وسرح العيون ٣٧، والوافي بالوفيات ٦ / ٣٣٦، والذيل على ميزان الاعتدال " العراقي " ٥٩، والمقفى الكبير ١ / ٣٦٦، ونزهة الجليس ١ / ٥٠٥، ومواسم الأدب ١ / ١٥١، وديوان الأدب " للخفاجي " ٦٢ / ب، وخزانة الأدب ٢ / ٣٤٧، وشرح أبيات المغني ١ / ٤٦، والكنى والألقاب ٣ / ١٣٩، والأعلام ١ / ١١٥، ومعجم المؤلفين ١ / ٢٠١.

obeikandl.com

وقد خطر لي سؤال في هذا البيت، ذكرته، وذكرت الجواب عنه في كتابي " لذة السمع في صفة الدمع "[1].

وقال[2] ـ بعد أنْ نقل قول الثعالبي، وبيتي أبي الفرج ابن هندو:

يَقُولُونَ لِي: مَا بَالُ عَيْنِكَ إِذْ رَأَتْ ... مَحَاسِنَ هَذَا الظَّبْيِ أَدْمُعُهَا هُطْلُ ؟

فَقُلْتُ: زَنَتْ عَيْنِي بِطَلْعَةِ وَجْهِهِ ... فَكَانَ لَهَا مِنْ صَوْبِ أَدْمُعِهَا غُسْلُ

قال: وقد عقدت لهذا المعنى باباً في كتابي " لذة السمع في صفة الدمع "[3].

ونقل ابن الفرات[4] في ترجمة ابن الظهيرة الإربلي، ما رواه الصفدي عن شيخه أبي حيَّان من قول الإربلي:

قَلْبِي وَطَرْفِي ذَا يَسِيلُ دَمًا وَذَا ... دُونَ الْوَرَى أَنْتَ الْعَلِيمُ بِقَرْحِهِ

وَهُمَا بِحُبِّكَ شَاهِدَانِ وَإِنَّمَا ... تَعْدِيلُ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي جَرْحِهِ

وَالْقَلْبُ مَنْزِلُكَ الْقَدِيمُ فَإِنْ تَجِدْ ... فِيهِ سِوَاكَ مِنَ الْأَنَامِ فَنَحِّهِ

ويقول: البيتان من هذه الثلاثة قد أكثر الشعراء من النظم في معناهما، ومن أحسن ما حضرني الآن قول شرف الدين شيخ الشيوخ الحموي:

بَقِيتُ مَسْرُورًا فَلَمْ يَبْقَ لِي ... بَعْدَكَ لاَ جِسْمٌ وَلاَ رُوحُ

وَلِي عَلَى صِدْقِي مِنْ فِعْلَتِي ... شَاهِدُ عَدْلٍ وَهْوَ مَجْرُوحُ

وقد عقدت لهذا المعنى بابا في كتابي الذي سميته لذة السمع في صفة الدمع[5].

---

(١) لذة السمع السمع ص ١١ / أ.

(٢) الوافي بالوفيات ٢١ / ١٨.

(٣) لذة السمع ٢٠ / ب.

(٤) محمد بن عبد الرحيم، ناصر الدين، الحنفي (٧٣٥ ـ ٨٠٧ هـ) مؤرخ مصري، مولده ووفاته في القاهرة له كتاب مشهور في التاريخ.
انظر الأعلام ٦ / ٢٠٠، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٥٩.

(٥) تاريخ ابن الفرات ٧ / ١٣٨ ـ ١٣٩، نقلا عن الوافي بالوفيات ٢ / ١٢٥، والنص في لذة السمع ١٣ / أ.

من كل ذلك يمكننا الاطمئنان إلى نسبة الكتاب إلي الصفدي، وأنْ نبقي له اسمه الذي اختاره له مؤلفه.

قيمة الكتاب العلمية والأدبية

كان السخاوي أول من نبَّه إلى أهميَّة الكتاب؛ فقد روى ما نقله الصفدي من أحاديث، وما رآه من أفراد يبكون متى يشاءون[١].

ثم جاء المحدِّثون والمفسرون من بعده يولون هذه الأحاديث عنايتهم من النقل، والرواية، أذكر منهم:

- ابن الدَّيْبَع[٢] في كتابه " تمييز الطيب من الخبيث "[٣].
- العجلوني[٤] في كتابه " كشفاء الخفاء "[٥].
- المكِّي[٦]، من المفسرين الذين نقلوا من الكتاب صفحات مطولـة في كتابه "نزهة الجليس"[٧].

---

(١) المقاصد الحسنة ٢٩٠.

(٢) وجيه الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد، الشيباني، الأثري، المعروف بابن الديبع، ومعناه بلغة السودان: الأبيض (٨٦٦ ـ ٩٤٤ هـ) مؤرخ، محدث ، يمني الأصل، مولده ووفاته في زبيد، مات أبوه في الهند، ولم يره، وربَّاه جدُّه لأمّه، ومن مؤلفاته: تمييز الطيب من الخبيث، وبغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، والفضل المزيد في تاريخ زبيد، وقرة العيون في أخبار اليمن، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ. انظر: الكنى والألقاب ١ / ٢٨٧، والأعلام ٣ / ٣١٨، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٥٩.

(٣) تمييز الطيب من الخبيث ١٥٧.

(٤) أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي، العجلوني، الجراحي (١٠٨٧ ـ ١١٦٢ هـ) محدث الشام في عصره، منشؤه ووفاته في دمشق، ومن مؤلفاته: الفيض الجاري في شرح صحيح البخاري، وكشف الخفاء.
انظر: الأعلام ١ / ٣٢٥، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٩٢.

(٥) كشف الخفاء ٢ / ٢١٧.

(٦) عباس بن علي بن نور الدين، الحسيني، الموسوي (١١١١ ـ ١١٨٠ هـ) أديب، رحَّالة، غزيـر العلم بالأخبار واللطائف، مولده ووفاته في مكة المكرمة، ليس له إلاَّ كتاب "نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس". انظر: الأعلام ٣ / ٢٦٣، ومعجم المؤلفين ٥ / ٦٢.

(٧) نزهة الجليس ١ / ٣٣٦ـ٣٣٨.

ولم يكن الأدباء والدارسون أقل عناية بالكتاب، واهتماما به من المحدِّثين والمفسرين؛ فقد ضـم الكتاب بين دفتيه مقاطيع من الشعر لا يُعْرف لها مصدر غيره إلى الآن، وبخاصة لشعراء عصر المماليك الذين لم تجمع دواوينهم، أو جمعت ولكنها لم تصل إلينا، أو وصلت إلينا ولكنها لم تنشر، ويصعب الاطلاع عليها.

كما أسهم الكتاب في إضافة أبيات من الشعر لدواوين شعراء معروفين؛ ومن أمثلة ذلك:

- استعان به الدكتور سامي الدهان في تحقيقه ديواني: صريع الغواني، والوأواء الدمشقي.
- والدكتور حسين نصار في تحقيقه ديوان ظافر الحداد.
- والدكتورة عاتكة الخزرجي في تحقيقها ديوان العباس بن الأحنف.... وغيرهم.

وموضوع الكتاب سبب آخـر لانتشاره ؛ لأنَّ كتب الاختيارات الشعرية ـ في العادة ـ من أكثر الكتب ذيوعا وتداولا، بحكم ما يتوفّر لها من تنوع المادة، وتعدد المصادر، وإذا احتوى على بعض ما ذكره الشعراء عن الدمع في غرضي الرثاء والتشبيب ـ فإنَّ الرغبة فيه تكون أشد، والاحتفال له يكون أكثر ؛ لأنَّ عاطفتي الحب والحزن ألصق العواطف بالقلب، وأقربها إلى النفس.

منهج الكتاب

يعتبر الصفدي من أكثر المؤلفين التزاما بالمنهج الذي اختاره لنفسه ومن أقدرهم على اتخاذ الأسلوب العلمي ـ بمفهومنا الحديث ـ في البحث والتخطيط والتنظيم؛ فهو يجهِّز المادة العلمية، وبرتبها، ويضع لها المقدمات المناسبة، وينقد الروايات المختلفة، ويوثقها، ويوازن بينها، ويدلي برأيه فيها، كما عُرف عنه أنَّه كان دائم التقييد والتدوين للمعلومات التي يقرؤها، أو يسمعها من شيوخه ونظرائه ويرى أنَّه سيحتاج إليها في مصنفاته، وجمع تلك المعلومات في " تذكرته " الضخمة يرجع إليها كلّما شرع في تأليف كتاب.

ومنهجه في كتابه هذا ـ لذة السمع في صفة الدمع، كما قارنته بغيره من كتبه ـ نموذج لطريقته في التأليف، فهو يقسَّم كتابه ـ في العادة ـ إلى: تمهيد، ومقدمات (تكون مقدمتين أو أكثر، وقد يكون في المقدمة عدَّة فصول)، ونتائج، وهذه الأقسام في الكتاب الذي بين أيدينا الآن هي: تمهيد، ومقدمتان، ونتيجة:

التمهيد

بدأه بخطبة مسجوعة، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ثم ذكر سبب تأليف الكتاب، ومراتب الدمع، وألوانه، وآثاره، وشروط اختيار النصوص الشعرية، والموضوعات التي تناولها في كتابه.

سبب تأليف الكتاب:

أمَّا سبب تأليف الكتاب فهو ـ كما قال ـ: إنَّه لَمَّا رأى الشعراء قد أطنبوا في ذكر الدمع، وبالغوا في وصفه.. أحب أنْ يجمع في ذلك ما يكون لمن نظر فيه حديقة غضَّة الجنى..[1].

ولكن لِمَ خصَّ الدمع بالتأليف فيه من بين الموضوعات الكثيرة التي أطنب الشعراء في ذكرها ؟

تبيَّن لي من دراستي لسيرة الصفدي أنَّه كان مولعا بالحكمة، ودراسة الطب[2] ويبدو لي أنَّه لولا اشتغاله بالوظائف الديوانية، ومسايرته لموهبته الأدبية والشعرية لكان واحدا من أعظم أطباء عصره، وبخاصة الكِحَالة ـ طب العيون ـ فقد قرأ على أستاذه ابن الأكفاني الطبيب[3] كتبه:

---

(١) لذة السمع ٣.

(٢) الصفدي وآثاره في الأدب والنقد ١١١.

(٣) أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين الأنصاري، السنجاري الأصل والمولد، المصري الدار والوفاة (ت ٧٤٩ هـ) عالم بالطب، والطبيعيات، أديب مؤرخ، عروضي، ناقد، واسع المعرفة بالجواهر، والآلات، والعقاقير، والحيوان، والرقيق، والجواري .
انظر: أعيان العصر ٤ / ٢٢٥، والأعلام ٥ / ٢٩٩، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٠٠.

"غُنْيَةُ اللبيب عند غَيْبَة الطبيب"، و"نخب الذخائر في معرفة الجواهر" و"إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد"[١]، ودرس من كتبه ـ ولم يقرأه عليه ـ كتابه "كشف الرَّيْن في أمراض العين"[٢].

ودرس من كتب ابن سينا[٣] "القانون"[٤]، ودرس كتاب "الطب الكبير"، للرازي[٥]، وعلَّق عليه بقوله[٦]:

قَدْ كُنْتَ يَابْنَ خَطِيبِ الرَّيِّ مُعْجِزَةً ... بِذِهْنِكِ الْمُشْرِقِ الْخَالِي مِنَ الْكَدَرِ
دَخَلْتَ فِي كُلِّ عِلْمٍ لِلأَنَامِ، وَقَدْ ... حَرَّرْتَهُ بِدَقِيقِ الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ
إِذَا انْتَصَرْتَ لِرَأْيٍ أَوْ لِمَسْأَلَةٍ ... تَرَجَّحَتْ لأُولِي الْأَلْبَابِ وَالْفِكَرِ
وَكُلُّ عِلْمٍ لَكَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ بِهِ ... فَأَنْتَ حَقًّا جَمَالُ الْكُتْبِ وَالسِّيَرِ

كما درس " تذكرة الكحَّالين "[٧] لعلي بن عيسى الكحَّال[٨].

وكان من آثار شغفه بالطب بعامّة، وميله إلى الكِحَالة بخاصَّة ـ مع موهبته الفنية،

---

(١) الوافي بالوفيات ٢ / ٢٦.
(٢) المصدر السابق ٢ / ٢٦، وصرف العين ٤١ / ب.
(٣) أبو علي، الحسين بن عبد الله ، شرف الملك، البلخي، البخاري، ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) فيلسوف، طبيب، عالم، تقلد الوزارة في همذان وبها توفي، صنف نحو مائة كتاب في أغلب أنواع العلوم. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٣١، والعبر ٢ / ٢٥٨، والوافي بالوفيات ١٢ / ٣٩١، والأعلام ٢ / ٢٤١، ومعجم المؤلفين ٤ / ٢٠.
(٤) صرف العين ٥٥ / أ.
(٥) أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين، القرشي، التيمي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) طبيب مؤرخ، مفسر شاعر، واعظ، عالم في العلوم العربية والشرعية والرياضيات، له مؤلفات كثيرة. انظر: التكملة لوفيات النقلة ٢ / ١١٢١، وتاريخ الإسلام للذهبي [الطبقة ٦١] ٢٠٤، والعبر ٣ / ١٤٢، وسير أعلام النبلاء ٢١ / ٥٠٠، والأعلام ٦ / ٣١٣، ومعجم المؤلفين ١١ / ٧٩.
(٦) الوافي بالوفيات ٤ / ٢٥٦.
(٧) صرف العين ٥٥ / أ.
(٨) علي بن عيسى بن علي، الكحال (ت ٤٣٠ هـ) طبيب حاذق في أمراض العيون، ومداواتها، وكتابه "تذكرة الكحالين" من أشهر كتب الكحالة في الطب العربي.
انظر: الوافي بالوفيات ٢١ / ٣٧٢، والأعلام ٤ / ٣١٨، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٦٣.

obeikandl.com

واستعداده لقول الشعر، وحبِّه الأدب ـ أنْ رأيناه يترجم مَنْ فقدوا نعمة البصر في كتابه "نكت الهميان"، ومن فقـدوا عينا واحدة في كتابه "الشعور بالعور"، ويجعل الدمع موضوعا لكتابه هذا "لذة السمع"، ثم يتخذ العين موضوعا لكتابـه "صرف العين "، ويكتب مقامتين في الغرض نفسه، وهما "لوعة الشاكي"، و"عبرة اللبيب"؛ ومن هنا يتبيَّن أنَّ الكتاب واحد من سلسلـة متكاملـة تشبع هوايته العلمية، ومواهبه الأدبية.

وهنا يبرز السؤال: متَّى ألَّف الصفدي هذا الكتاب ؟

والإجابة عن هذا السؤال ليست بالأمر الميسور؛ فهو لم يشر فيه إلى وقت كتابته، وفي الوقت ذاته خلا الكتاب من الإشارة إلى أي كتاب من كتبه السابقة عليه، مما يرجِّح أنَّه كان من أولها تأليفا، ولمَّا كان المؤلف قد روى طرفا من ذكرياته في رحبة مالك بن طوق التي كتب فيها الدرج في سنة ٧٣٠ هـ ، وذكر في الوقت نفسه كتابه هذا في إجازته كمال الدين بن أبي الثناء محمود في شوَّال من سنة ٧٤٥ هـ، فإنَّه يمكن أنْ نستنتج من ذلك أنَّ الصفدي ألف الكتاب في وقت ما بين سنتي ٧٣١ هـ، و٧٤٥ هـ[1].

مراتب الدمع:

أمَّا مراتب الدمع فسبع عشرة مرتبة، وضع لها الفِقَرَ التالية:

الأولى: ذِكْرُه من غير مبالغة فيه.

والثانية: فَضْحُه أسرار العاشقين.

والثالثة: اتصال جريانه، من غير فترة.

والرابعة: أنَّه أصبح كالمطر.

والخامسة: أنَّه كالأنهار.

---

(١) الإجازة في آخر كتاب الحسن الصريح، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥١٢٠ / أدب وهو بخط الصفدي، والمخطوط غير مرقم.

والسادسة: تحوُّله إلى سيول.

والسابعة: أنَّه أصبح كالبحار والطوفان.

ويعلِّق الصفدي على هذه المراتب الخمس الأخيرة ـ من الثالثة حتى والسابعة ـ بأنَّ ما ادَّعاه الشعراء فيها غير ممكن في العادة والعقل، ويتطرَّق إلى المبالغة في النقد، فيراها سمة الشعر الجيِّد، وسرَّ بلاغته، وعلوَّ مكانته، ويستطرد ـ على عادة الأقدمين ـ ليذكر بعض المواقف التي تتجلَّى فيها منْزِلة الشعر في نفوس العرب، وأثره البالغ في حياتهم الاجتماعية.

والثامنة: تحوَّل الدمع إلى الدم، وفي هذه المرتبة يتتبع الصفدي تشبيهات الشعراء الدمع بالعقيق، والمرجان، والياقوت، حتَّى أصبحت الحمرة في لونه حقيقة عرفية عند الخاص والعام، ومنها يستطرد إلى الحديث عن ألوان الدمع.

والتاسعة: أنَّ الدموع تقرِّح المآقي، وتجرِّح الأجفان، وتخدِّد الخدود.

ويرى الصفدي أنَّ هاتين الرتبتين ـ الثامنة والتاسعة ـ داخلتان في حيِّز الإمكان، وقد بيَّن أسباب هذا الرأي في المقدمة الثانية.

والعاشرة: أنَّ الدمع أذهب العين، وعفَّى على آثارها.

والحادية عشرة: أنَّ الدموع نفدت، والذي يتحدَّر من العيون إنَّما هو ذوب النفس، وهي مرتبة بعيدة الوقوع، بل هي مستحيلة.

والثانية عشرة: أنَّه نصيرهم يستروحون بإنفاقه، ويستعينون به في دفع غلبة الجوى، وهي مرتبة ظاهرة الصدق.

والثالثة عشرة: اعتذارهم عن تحدُّره، وتحيُّره في الأجفان.

والرابعة عشرة: الاستعانة بالإخوان عليه.

والخامسة عشرة: تقديم مساعدتهم الباكين.

والسادسة عشرة: بكاء المحبوب رحمة لهم.

والسابعة عشرة: بكاء الحسود رقَّة عليهم.

ألوان الدمع:

أمَّا ألوانها في الشعر فقد ادعَّى الشعراء لها جميع الألوان المعروفة لهم، وهي: الأبيض، والأسـود، والأحمـر، والأخضر، والأصفر، والأزرق، وعللَّوا لتلوَّن الدمع بهذه الألوان.

آثار الدمع:

أمَّا أثر الدموع في الإنسان، فقسَّمَها الصفدي ثلاث مراتب:

الأولي مرتبة مستحيلة: وهي التي ينفد فيها الدمع، ويصبح ما يسيل من العين هو ذوب النفس.

والثانية مرتبة ممكنة: وهي تقريح المآقي، وإذهاب العين، ويستشهد لها بما جاء في القـرآن الكريم، والحديث الشريف، وأقوال المفسرين، وما فيها من معجزات الأنبياء.

والثالثة مرتبة نفسيَّة: فالعشاق يستروحون به، أو يعتذرون عنه، وقد يتعاونون عليه، أو يستنجدون بمن يعينهم عليه.

نقد المراتب وتقسيم الصفدى لها:

نلاحظ على تقسيم الصفدي مراتب الدمع أمورًا متعدِّدة، منها:

۞ أنَّ المراتب الست الأخيرة ـ من الثانية عشرة إلى السابعة عشرة ـ تصوِّر حال العشَّاق، ولا تُعَدُّ في الحقيقة من مراتب الدمع ـ كما زعم ـ فالعشَّاق يستروحون بإنفاقه أو يعتذرون عن تحدُّره، وربَّما استنجدوا عليه بالإخوان، أو ساعدوا غيرهم على البكاء، وربَّما بكى المحبوب رحمة لهم، أو بكى الحسود رقَّة عليهم.

۞ أنَّ بعض المراتب سبب في غيرها ؛ فالمرتبة الثالثة ـ مثلا ـ سبب في الثانية، فما كشف السرِّ، وإظهار ما في الضمير إلاَّ نتيجة لاتصال جريان الدمع، ودوام همومه، وربَّما كان الأولى به أنْ يقدِّم هذه المرتبة على سابقتها.

۞ أنَّه جعل الأثر النفسي أعمق ألما، وأشدَّ عذابا من الأثر المادِّي ؛ فجعل رقَّة الحسود، أو بكاء المحبوب أعلى رتبة من تحدَّر الدَّمع غزيرا كالأنهار والبحار، ولو تحوَّل الدَّمع إلى دم حقيقة، أو مجازا، وهو إحساس صادق، لما يعانيه المحبُّون من جوى وحُرْقَة.

۞ إذا فهمنا هدفه في التَّدرُّج من اليسير إلى الشديد، ثم من الشديد إلى ما هو أشد منه فإننا نجد أنَّ بعض المراتب لم تقع في موقعا المناسب ؛ فمثلا المرتبة الثالثة عشرة جاءت متأخِّرة عن موضعها، فلا يمكن أنْ يكون الاعتذار عن الدمع أعلى درجة من المرتبة الحادية عشرة التي وصفها بالاستحالة.

۞ قد يذكر عناصر الموضوع، ويمثِّل لبعضها دون البعض الآخر، فمثلا في المرتبة السابعة جعل الدمع مثل البحار والطوفان، وأورد مقطوعتين في تشبيه الدمع بالبحار، ولم يأت بمثال واحد لتشبيهه بالطوفان.

۞ أنَّه لم يضع في اعتباره التطوَّر التاريخي للتعبير عن غزارة الدمع، وشدَّة البكاء فعندما نتأمَّل ترتيبه في الأمثلـة التي ذكرها، والتي ابتدأها ببيت لامرئ القيس[1] ثم ببيتين لقيس بن ذَرِيـح[2]، ومن بعدهما أبياتللعبَّاس بن الأحنف[3] أوحى إلى القارئ بأنَّ التدرُّج يساير رقيَّ الحضارة، وتقدُّم الزمن، وأنَّه ملتزم بذلك التدُّرج، والحقيقة أنَّه لم يتقيَّد بهذا القيد ؛ ففي الشعر الجاهلي، وشعر المخضرمين أمثلة لبعض مراتب

---

(١) امرؤ القيس بن حُجْر، الكندي (نحو ١٣٠ ـ ٨٠ ق. هـ.) شاعر جاهلي، يمانيي الأصل، كان أبوه ملـك أسد وغطفان، ولَّما قتل أبوه طلب امرؤ القيس ثأره، ولكنه مات، ولم يدركه. انظر: المحبر ٢٣٣، واللسان "لوغ" ٨ / ٤٤٩، والأعلام ٢ / ١١، ومعجم المؤلفين ٢ / ٣٢٠.

(٢) قيس بن ذريح (ت ٦٨ هـ) شاعر، أموي ، من العشَّاق، كانت حياتـه، ووفاته بالمدينة المنوَّرة، طبع ديوانه بعنوان "قيس ولبنى". انظر: المطربات المرقصات ٣٥، والوافي بالوفيات ٢٤ / ٢٩٤، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ق ١ / ٢٠٠، والأعلام ٥ / ٢٠٥، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٣٥.

(٣) أبو الفضل، العبَّاس بن الأحنف (ت ١٩٤ هـ) شاعر غزل، عربي الأصل، من بني حنيفة، نشأ في بغداد، ونادم الرشيد، وتوفي في البصرة، وديوانه مشهور. انظر: الوافي بالوفيات ١٦ / ٦٣٨، وشرح أبيات المغنى ٥ / ١١٢، والأعلام ٣ / ٢٥٩، ومعجم المؤلفين ٥ / ٩٥.

الدمع دون بعضها الآخر، مما يكشف عمَّا ورثه المولّدون من تقاليد الشعر، ومعانيه، وما جدَّدوا فيه، ومن أمثلة ذلك:

۞ من المرتبة الثالثة، قول امرئ القيس[1]:

ظَلِلْتُ رِدَائي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعُدُّ الْحَصَى، مَا تَنْقَضِي عَبَرَاتِي

وقول الخنساء[2]:

أَلاَ مَنْ لِعَيْنٍ لاَ تَجِفُّ دُمُوعُهَا إِذَا قُلْتُ: أَقْشَتْ تَستَهِلُّ، فَتَحْفِلُ ؟

۞ ومن المرتبة الرابعة قول زهير[3]:

كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقَا

۞ ومن المرتبة الخامسة قول الخنساء[4]:

أَلاَ يَا عَيْنِ، فَانْهَمِرِي بِغُدْرِ وَفِيضِي فَيْضَةً مِنْ غَيْرِ نَزْرِ

---

(١) ديوانه ٧٨، وشرح المقامات، للشريشي ٣ / ٣٧٩.

(٢) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحيّة، السُّلميّة (ت ٢٤ هـ) أشهر شواعر العرب، صحابيّة، من أهل نجد، كان رسول الله ﷺ يستنشدها، وأكثر شعرها في رثاء أخويها صخر ومعاوية، وديوانها مشهور.انظر: الاستيعاب ٢ / ٢٨٧، والإصابة ٤ / ٢٧٩، والوافي بالوفيات ١٠ / ٣٨٨، والأعلام ٢ / ٨٦، ومعجم المؤلفين ٣ / ٩٢.
والبيت في ديوانها ١١٠، وفى اللسان " فثأ " ١ / ١٢٠، وقولها " أقشت " مخفف من " أفثأت " بمعنى: سكنت، وفترت.وقد تكرر هذا المعنى كثيرا في ديوانها، انظر ١٤٦، و١٤٧...

(٣) زهير بن أبي سلْمَى ربيعة، المزني (ت نحو ١٣ ق. هـ.) حكيم الشعراء في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى أصحاب المعلقات، وديوانه مشهور. انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ق / ١ / ٩٥، ومعجم الشعراء في تاريخ الطبري ٢٠٧، والأعلام ٣ / ٥٢، ومعجم المؤلفين ٤ / ١٨٦.
والبيت له في ديوانه ٣٧، وتهذيب الآثار ٢ / ٢٣٨، واللسان "سحق" ١٠ / ١٥٤، والمقتَّلة من الإبل: المكدودة بالعمل المذللَّة (اللسان " قتل " ١١ / ٥٥١)،
والنواضح من الإبل: جمع ناضح، وهي التي يستقي عليها (اللسان " نضح " ٢ / ٦١٩)، والمراد: أنَّها تسقي نخل جنَّة سُحُقا، وسُحُق: جمع سَحوق، وهي النخلة الطويلة (اللسان "سحق" ١٠ / ١٥٤).

(٤) ديوانها ٤٧، وانظر: مثله، في معناه، في الديوان نفسه ٨١، ١٢٠.

❁ ومن المرتبة الثامنة قول عنترة[1]:

وَقُلْ: طَرِيحًا تَرَكْنَاهُ وَقَدْ فَنِيَتْ دُموعُهُ، وَهْوَ يَبْكِي بِالدَّمِ الْقَانِي

وقول أبي خِرَاش الْهُذَلِيّ[2]:

أَرِقْتُ لِهَمٍّ ضَافَنِي بَعْدَ هَجْعَةٍ عَلَى خَالِدٍ، فَالْعَيْنُ دَائِمَةُ السَّجْمِ
إِذَا ذَكَرَتْهُ الْعَيْنُ أَغْرَقَهَا الْبُكَا وَتَشْرَقُ مِنْ تَهْمَالِهَا الْعَيْنُ بِالدَّمِ

❁ ومن المرتبة الثالثة عشرة قول الخنساء[3]:

قَذًى بِعَيْنِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عُوَّارُ أَمْ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَت مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

وقول الحُطَيْئة[4]:

إِذَا مَا الْعَيْنُ فَاضَ الدَّمْعُ مِنْهَا أَقُولُ: بِهَا قَذًى، وَهُوَ الْبُكَاءُ

❁ ومن المرتبة الخامسة عشرة قول الخنساء[5]:

وَكُنْتُ أُعِيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى فَأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهْ

---

(١) عنترة بن شدَّاد بن عمرو، العبسي (ت نحو ٢٢ ق. هـ.) أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى أصحاب المعلقات، وديوانه مشهور. انظر: معجم الشعراء في تاريخ الطبري ٣٢٤، والأعلام ٥ / ٩١، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٤.
والبيت له في ديوانه ٢٢٣،
والقاني: شديد الحمرة. انظر: اللسان " قنا " ١٥ / ٢٠٥.

(٢) أبو خِرَاش، خُوَيْلِد بن مرَّة (ت نحو ١٥ هـ.) فارس، فاتك، وشاعر مشهور. انظر: الوافي بالوفيات ١٣ / ٤٣٩، ومعجم الشعراء في لسان العرب ١٤٠، ومعجم الشعراء في تاريخ الطبري ٧٢، والأعلام ٣ / ٣٢٥. والبيتان له في ديوان الهذليين ٢ / ١٥١، والسَّجْم: الدمع. انظر: اللسان "سجم" ١٢ / ٢٨٠.

(٣) ديوانها ٤٩، وانظر: مثله، في معناه، في الديوان نفسه ١٤١.

(٤) أبو مُلَيْكَة، جَرْوَل بن أوس (ت نحو ٤٥ هـ) شاعر، مخضرم، هجَّاء، وديوانه مشهور. انظر: سرح العيون ٤٤٨، والوافي بالوفيات ١١ / ٦٩، ومعجم الشعراء في تاريخ الطبري ١٧١، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ق / ١ / ١٦٨، والأعلام ٢ / ١١٨، ومعجم المؤلفين ٣ / ١٢٩.
والبيت له في ديوانه ١٠٩.

(٥) ديوانها ١٢٩.

ولا نكاد نجد في أوليات الشعر العربي ما يفيد أنّ الدمع يفضح الأسرار، أو أنَّه يشبه الأنهار، أو البحار، أو السيول.

وأمَّا تشبيهات الأقدمين الدمع فتوشك أنْ تنحصر في تشبيهه باللؤلؤ، ومرادفاته كالفريد، والدُّر، والمَرْجَان، فمن ذلك قول المفضَّل النُّكْرِي[1]:

فَـــدَمْعِي لُؤْلُـــؤٌ سَـــلِسٌ عُـــرَاهُ يَخِـــرُّ عَـــلَى الْمَهَـــاوِي مَـــا يَلِـــينُ

وقول عبد الله بن العجلان[2]:

فَـــــالْعَيْنُ تَـــــذْرِي دَمْعَـــــةً كَالـــــدُّرِّ مِـــــنْ آمَاقِـــــهَا

وفي شعر الخنساء أمثلة كثيرة لتشبيه الدمع بالفريد والمرجان[3].

ولعلَّ أشدَّ ما عبَّر به الجاهليون عن أثر الدموع في الإنسان أنَّه يسقط شعر جفن العين من البكاء، من ذلك قول عامر بن الطُّفَيْل[4]:

فَلَتُخْبِرَنَّكَ فَاقِدٌ عَنْ شَجْوِهَا حَذِلٌ مَدَامِعُهَا بِدَمْعٍ سَيْكَبِ

ويبدو أنَّ دعوى الشعراء الجاهليُّين باتصال جريان الدموع، ودوام سكبها لم تكن

---

(١) الأصمعيات ٢٠٠.

(٢) عبد الله بن العجلان، النهدي (ت نحو ٥٠ ق. هـ ،) شاعر جاهلي، من العشَّاق المتيَّمين. انظر: الأغاني ٢٢ / ٢٣٧، والأعلام ٤ / ١٠٣.
والبيت له في الأغاني ٢٢ / ٢٣٧.

(٣) ديوانها، الصفحات ٤٠، ٦٦، ٧٠، ١٣٦، ١٣٨...

(٤) أبو علي، وأبو عقيل، عامر بن الطُّفَيْل (٧٠ ق. هـ ـ ١١ هـ) واحد من فتَّاك العرب المشهورين وشعرائهم البارزين، وديوانه مشهور. انظر: المحبر ٣٠٣، والعفو والاعتذار ٢ / ٥١٣، والشعور بالعور ١٥٩، والوافي بالوفيات ١٦ / ٥٧٨، والأعلام ٣ / ٢٥٢، ومعجم المؤلفين ٥ / ٥٤.
والبيت له في ديوانه ١٧، والحَذَل: سقوط الشعر، من جفن العين، من البكاء، وقيل: حمرة، وانسلاق، وسيلان الدمع. انظر: اللسان " حذل " ١١ / ١٤٨.
وقد بيَّن الصفدي في معنى قول رؤبة، أو العجَّاج ":
والشَّوْقُ شَاجٍ للعيُون الْحُذَّلِ "
أنَّ الحذل قد يكون محرَّفًا عن " خَذَلَ ". انظر: تصحيح التصحيف ١٤٢.

شائعة بينهم، والغالب في شعرهم إظهار التجلُّد، والصبر، ومدافعة البكاء، أو سكب القليل المتقطِّع منه، كقول عدي بن زيد[1]:

أَوْ كَـــمَاءِ الْمُثْمـــودِ بَعْـــدَ جِمَـــامِ زَرِمِ الـــدَّمْعِ، لاَ يَئُـــوبُ نَـــزُورَا

وقد تناول الشعراء بعد ذلك هذه المعاني الجاهلية، فزادوا فيها، ووسعوا دائرتها، وأضافوا إليها ما ولَّدوه من المعاني، وما ابتكروه من أساليب.

شروط اختيار النصوص الشعرية:

أمَّا عن شروط الاختيار، والصفات التي يجب أنْ تتوفَّر في من يتصدى للتأليف فيه فقد بيَّنها الصفدي فيما يأتي؛ لأنَّ الأبيات في المعنى الواحد كثيرة، إلى الغاية، في الدواوين، والمجاميع، وأقوال الرواة، لا يسعها فضاء الإحصاء، وهذه الشروط هي:

- يحتاج المؤلف إلى لطف ذوق، وصحّة تمييز؛ ليكون ما يختاره حسن العبارة مؤثرا في النفس، وهذا الذوق هبة من الله تعالى، لا تُعَلَّم، فما يزال الحسن في النص الأدبي مجهول الأسباب؛ لأنَّه سرٌّ من أسرار الله في الكلمات.

- ويحتاج إلى جانب العلم بالأدب، ومعرفة المعاني، والبيان، والبديع؛ ليستعين بهذه العلوم في نقد النصوص، واختيار أفضلها.

- ويقدِّم الصفدي نماذج تطبيقية لكثير من الأبيات الشعرية تتفق في المعنى، وحسن العبارة، وتتفاوت في الجودة، وشدّة التأثير[2].

---

(١) عدي بن زيد، العِبَادي، التميمي (ت نحو ٣٥ ق. هـ.) شاعر جاهلي، من أصحاب المجمهرات، ومن الدهاة، كان ترجمانا في بلاط كسرى، وديوانه مجموع. انظر: معجم الشعراء في تاريخ الطبري ٢٩٣، والأعلام ٤ / ٢٢٠، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٧٤.
والبيت له في تهذيب الألفاظ ٦٧٥، واللسان " زرم "، والزرم: القليل المتقطع، والمثمود: القليل الذي لا مادّ له. انظر: اللسان " ثمد " ٣ / ١٠٥، و" زرم " ١٢ / ٢٦٣.

(٢) لذة السمع ٧ / أ ـ ١٠ / أ.

المواضيع التي تناولها في كتابه:

أمَّا الموضوعات التي تناولها المؤلف في كتابه، والمنهج الذي رسمه لها فقد بينها في ترتيبه لها على مقدمتين، ونتيجة:

المقدمة الأولى: وهي فيما يتعلَّق بالدمع من اللغة، وذكر ما يرادفه، وبيان أسماء العين، وما تشتمل عليه من الجزئيات، ويكاد الصفدي أنْ يعتمد فيها اعتمادا رئيسا على كتاب فقه اللغة، للثعالبي[1]، فينقل عنه أربعة فصول كاملة بنصها وبالعناوين نفسها التي جاءت بها في فقه اللغة، وهي الفصول التي تحمل العناوين:

فصل في ترتيب البكاء، وفصل في تقسيم الماء من أماكنه، وفصل في محاسن العين، وفصل في معايب العين.

وفي الفصول الأخرى لا يكاد الصفدي يزيد على ما في كتاب فقه اللغة إلاَّ بعض المفردات التي تضمنتها المعاجم، وبخاصة " الصحاح " للحوهري[2].

أمَّا الفصل الذي سمّاه " فصل فيما يرادف لفظ العين مجازًا " فقد ذكر فيه من أسماء العين: المقلة، والحدقة، والناظر، والبصر، واللحظ، والطرف، ثم شرع يبيِّن أجزاء العين، مكتفيا بالمادة اللغوية التي حصر ذهنه فيها، في حدود كتب فقه اللغة، والمعاجم، ولم يشر إلى أغلب الكلمات التي تندرج تحت هذا العنوان، فقد أغفل الكثير

---

(١) أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ) لغوي، أديب، مؤرخ، شاعر، له مؤلفات كثيرة، أشهرها يتيمة الدهر، وفقه اللغة.
انظر: دمية القصر ٢ / ٢٢٨، والذخيرة ٤ / ٢ / ٥٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٣٧، والعبر ٢ / ٢٦٣، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٢٨٨، والوافي بالوفيات ١٩ / ١٩٤، والكنى والألقاب ٢ / ١٢٩، والأعلام ٤ / ١٦٣، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٨٩.

(٢) أبو نصر، إسماعيل بن حماد، الجوهري، الفارابي (ت ٣٩٣ هـ) لغوي، أديب، خطَّاط، ولعلّه أول من حاول الطيران، والتحليق في الفضاء، ولقي حتفه في محاولته، وأشهر كتبه " تاج اللغة وصحاح العربية". انظر: سير أعلام النبلاء ١٧ / ٨٠، والعبر ٢ / ١٨٤، ودول الإسلام ١ / ٢٣٦، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٢٦٧، والوافي بالوفيات ٩ / ١١١ والمزهر ١ / ٩٧، والأعلام ١ / ٣١٣، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٦٧.

من المفردات الأدبية، والصور الفنيَّة التي هي المجال الحقيقي للإبداع الفني، والتعبير المجازي في الأساليب الرفيعة، ومن ذلك:

۞ أنَّ رسول الله ﷺ سمَّاها " الحبيبة "، فقد جاء في الحديث الشريف:

﴿ أنَّ اللهَ تَعَالَى قال: إذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ، فَصَبَر، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّة ـ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ ﴾[1].

۞ وقد تسمَّى العين " البَصَّاصة "[2].

۞ وكثير من الكلمات المثناة تدل على " العينين " مجازًا، مثل:

البرقاوين[3]، والتوْءَمَتين، والجَحْمَتَيْنِ،

والكريمتين، والواقدين...[4].

۞ وقد تسمَّى العين " جفنا " مجازا، كقول أسامة بن منقذ[5]:

وَإذَا الجُفُونُ نَظَرْنَ بَعْدَكَ نُزْهَةً عَاقَبْتُهُنَّ بِدَمْعِيَ المُهْرَاقِ

۞ وقد تؤدي الأذن والجوارح الأخرى وظائف العين في الرؤية، مثل: الجسم، والقلب، والفؤاد، والعقل... كقول المتنبِّي[6]:

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرْنَ بِالآذَانِ

---

(١) الحديث من طريق أنس بن مالك ﷺ في صحيح البخاري ٧ / ٤، كتاب المرضى رقم ٧٥ باب ٧.

(٢) أساس البلاغة " بصص " ٢٣.

(٣) أساس البلاغة " برق " ٢٠.

(٤) جنى الجنتين: ٣٠، ٣٣، ٩٦، ١١٤...

(٥) أبو المظفَّر، أسامة بن مرشد، مؤيد الدولة (٤٨٨ ـ ٥٨٤ هـ) أمير مجاهد، وشاعر ناقد، وأديب مجيد، ديوانه مشهور. انظر: تكملة إكمال الإكمال ٢٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢١ / ١٦٥، ودول الإسلام ٢ / ٩٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢ / ٣٩٤، وأدب الدول المتتابعة ٢٧٣، والأعلام ١ / ٢٩١، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٢٥.

والبيت له في ديوانه ١٣٤، وشرح المقامات للشريشي ١ / ٤٠١.

(٦) ديوانه ٤١٣، والفتح على أبي الفتح ٣٢٤.

وأكثر ابن الفارض[1] من ترديد هذه الصورة الخيالية في مثل قوله[2]:

يُـــدْنِي الْحَبِيـــبَ وَإِنْ تَنَـــاءَتْ دَارُهُ طَيْـفُ الْمَـلاَمِ لِطَـرْفِ سَـمْعِي الـسَّاهِرِ
فَكَـأَنَّ عَـذْلَكَ عِـيسُ مَـنْ أَحْبَبْتُـهُ قَـدِمَتْ عَـلَيَّ، وَكَـانَ سَـمْعِي نَـاظِرِي

وقوله[3]:

إِذَا مَـا بَـدَتْ لَـيْلَى فَكُـلِّيَ أَعْـيُنٌ وَإِنْ هِـيَ نَـاجَتْنِي فَكُـلِّي مَـسَامِعُ

ومثل قول بشار[4]:

فَقُلْتُ: دَعُوا قَلْبِي، وَمَا اخْتَارَ، وَارْتَضَى فَبِالْقَلْـبِ لاَ بِـالْعَيْنِ يُبْـصِـرُ ذُو الْحُـبِّ
فَـمَا تُبْـصِرُ الْعَيْنَـانِ فِي مَوْضِـعِ الْهَـوَى وَلاَ تَـسْمَعُ الْأُذْنَـانِ إِلاَّ مِـنَ الْقَلْـبِ

وقوله[5]:

أَنَّـى، وَلَمْ تَرَهَـا تَهْـذِي ؟ فَقُلْـتُ لَهُـمْ إِنَّ الْفُـؤَادَ يَـرَى مَـا لاَ يَـرَى الْبَـصَرُ

وقوله[6]:

---

(١) أبو حفص، عمر بن علي، شرف الدين، سلطان العاشقين (٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ) شاعر، زاهد، مصري المولد، والنشأة، والوفاة، وديوانه مشهور. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٦٨، والإعلام بوفيات الأعلام ٢ / ٤٢٦، حسن المحاضرة ١ / ٥١٨، والأعلام ٥ / ٥٥، ومعجم المؤلفين ٧ / ٣٠١.

(٢) ديوانه ١٤٩، وشرح ديوانه ٢ / ١٤.

(٣) ديوانه ٢١١، والأصل في كل هذه الصور هو قولهم: " سَمِعَتْ " أُذُني "، بمعنى: أَبْصَرَتْ عَيْنِي. انظر: اللسان " سمع " ٨ / ١٦٤.

(٤) أبو معاذ، بشار بن بُرْد، العُقَيْلِيّ بالولاء (٩٥ ـ ١٦٧ هـ) ولد أعمى، وهو أشعر المولدين، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وديوانه مشهور. انظر: البرصان ٢٩، والموشح ٢٤٦، وسمط اللآلئ ١٩٦، ومنهاج اليقين ٩٠، وسير أعلام النبلاء ٧ / ٢٤، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ١٠٦، والعبر ١ / ١٩٤، وسرح العيون ٢٩٨، والوافي بالوفيات ١٠ / ١٣٥، والبداية والنهاية ٩ / ١٤٩، ومرآة الجنان ١ / ٣٥٣، ومواسم الأدب ١ / ١٩٦، وشذرات الذهب ١ / ٢٦٤، والكنى والألقاب ٣ / ١٧٩، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ق ٢ / ٥٢، والأعلام ٢ / ٥٢، ومعجم المؤلفين ٣ / ٤٤.
والبيتان له في ديوانه " جمع العلوي " ٣٤.

(٥) ديوانه " جمع العلوي " ١٠٦.

(٦) ديوانه " جمع العلوي " ١٠١.

فَقَــالَ: بَعْــضُ الْحَــدِيثِ يَــشْغَفُنِي وَالْقَلْــبُ رَاءٍ مَــا لاَ يَــرَى الْبَــصَرُ

ومثل قول الأعمى التطيلي[1]:

فَانْظُرْ بِعَقْلِكَ؛ إنَّ الْعَيْنَ كَاذِبَةٌ وَاسْمَعْ بِحِسِّكَ؛ إنَّ السَّمْعَ خَوَّانُ
وَلاَ تَقُلْ: كُلُّ ذِي عَيْنٍ لَهُ نَظَرٌ إنَّ الرُّعَاةَ تَرَى مَا لاَ يَرَى الضَّانُ

وكما أعطى الشعراء الجوارح وظائف العين، عكسوا، فجعلوا العين تقوم بوظائف الجوارح الأخرى، ومن ذلك:

❁ قد تؤدي العين وظيفة الأنف في الشم كقول ابن أبي حديدة[2]:

وَشَــــــمَمْتُ وَرْدَةَ خَــــــدِّهِ نَظَــــرًا، وَنَــــرْجِسَ مُقْلَتَيْــــهِ

❁ وقد تقوم العين مقام الأذن في السمع كقول أبي الطيِّب المتنبي[3]:

خَلَفَــتْ صِــفَاتُكَ فِي الْعُيُــونِ كَلاَمَــهُ كَــالْخَطِّ يَمْــلأُ مَــسْمَعَيْ مَــنْ أَبْــصَرَا

وقول أبي المطَّلب البصري[4]:

إذَا جَعَــلَ اللَّحْــظَ الْخَفِــيَّ كَلاَمَــهُ جَعَلْــتُ لَــهُ عَيْنِــي لِتَفْهَمَــهُ أُذْنَــا

وذهب السُّهَيْلِيّ[5] إلى أنَّ العين بمعنى الجارحة مجاز ؛ لأنَّها موضع العِيَان وكانت

---

(١) أبو العبَّاس، أحمد بن عبد الله بن هريرة، القيسي (ت ٥٢٥ هـ) شاعر أندلسي، نشأ في أشبيلية، ونظم الموشحات، وديوانه مطبوع. انظر: قلائد العقيان ٢٧٣، وبغية الملتمس ١٧٦، وتحفة القادم ٢٧، ونكت الهميان ١١٠، والأعلام ١ / ١٥٨.

(٢) أحمد بن القاسم بن أبي الليث، المعروف بابن أبي حديدة، التميمي (القرن الخامس الهجري) شاعر فكه. انظر: أنموذج الزمان ٧١، وبدائع البدائه ١٢٠، والوافي بالوفيات ٧ / ٢٩٣، وشعراء القيروان ١٠. والبيت له في أنموذج الزمان ٧٢، وبدائع البدائه ١٢٠، والوافي بالوفيات ٧ / ٢٩٣، وشعراء القيروان ١١.

(٣) ديوانه ٥٤٠، والتبيان ٢ / ١٦٨.

(٤) المختار من شعر بشار ٦٣.

(٥) أبو زيد، وأبو القاسم ، وأبو الحسن ، عبد الرحمن بن عبد الله، الخثعمي، السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١ هـ) حافظ، عالم باللغة، والسِّير، ولد بمالقة، وتوفي في مراكش، وأشهر كتبه: نتائج الفكر، والروض الأنف. انظر: العبر ٣ / ٨٢، ودول الإسلام ٢ / ٩٢، والإعلام بوفيات الأعلام ٢ / ٣٩٣، والوافي بالوفيات ١٨ / ١٧٠، والبلغة ١٢٢، وغاية النهاية ١ / ٣٧١، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٤٧٨، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٢٦٦، ونفح الطيب ٣ / ٤٠، والأعلام ٣ / ٣١٣، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٤٧.

في أصل وضع اللغة صفة بمعنى الرؤية والإبصار، لا جارحة، واستدلَّ لرأيه بقولهم: " قَوْمُهُمْ أَعْلى بِهِمْ عَيْنًا " أي: أبصر بهم[1].

ويرى الصَّفدي أنَّ لفظ العين يدلُّ دلالة حقيقية على الجارحة، والذهب، والجارية، والشمس... كما يدلُّ على كثير من المعاني الحسيّة الأخرى[2]، وروى للبهاء السبكي[3] قصيدة طويلة، قافيتها كلمة كلمة " العين "، وشرح في كل بيت منها معنى من معاني الكلمة.

ومما يدل على صحّة ما ذهب إليه الصفدي أنَّ الدراسات الحديثة أثبتت أنَّ التطور الطبيعي للدلالة أنْ تنتقل ـ تبعا للتدرج ـ من المحسوس إلى المعنوي، لا العكس، ولفظ " العين " من أكثر ألفاظ اللغة المشتركة مَعَانِيَ، وربَّما كان أصل وضعه واحدا من تلك المعاني الحسيّة التي ذكرها الصفدي، ثمَّ أصبح يدلُّ على معنى الرؤية ؛ ولذلك نجد اللفظ يستعمل في المجال الأدبي، في مجالات خصبة متنوعة، فيقال: عبد عين، وصديق عين، وأخو عين...

۞ وتقول لمن بَعثْتَه، واستعجلته: " بِعَيْنٍ مَا أَرَينَّك "[4]، ومن دلالة النظر على السرعة قول الشمَّاخ بن ضرار[5]:

---

(١) الروض الأنف ٢ / ٩٢.

(٢) صرف العين ١٤ / ب.

(٣) أبو حامد، أحمد بن علي بن عبد الكافي، بهاء الدين (٧١٩ ـ ٧٦٣ هـ) فقيه، أصولي، شاعر، أديب، من قضاة الشافعية، مات مجاورا بمكّة المكرَّمة له عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. انظر: الوافي بالوفيات ٧ / ٢٤٦، وألحان السواجع ١ / ١٠٠، وإنباء الغمر ١ / ٢١، والدليل الشافي ١ / ٦٢، وحسن المحاضرة ١ / ٤٣٥، والدارس في تاريخ المدارس ١ / ٣٦٦، ودرَّة الحجال ١ / ١٠٠، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ق ٦ / ٢٦، والأعلام ١ / ١٧٦، ومعجم المؤلفين ٢ / ١٢.

(٤) أساس البلاغة " عين " ٣١٩، واللسان " عين " ١٣ / ٣٠١.

(٥) الشمَّاخ بن ضرار بن سنان، يقال: كان اسمه معقلا، أو الهيثم (ت ٢٢ هـ) شاعر مخضرم، أدرك الجاهليَّة والإسلام، وديوانه طبوع.
انظر: الوافي بالوفيات ١٦ / ١٧٧، ومعجم الشعراء في تاريخ الطبري ٢٣٧، ورحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ٢١١، والأعلام ٣ / ١٧٥، ومعجم المؤلفين ٤ / ٣٠٦.
والبيت له في تهذيب الألفاظ ٦٨٩، واللسان " عير " ٤ / ٦٢١.
والقبصَّى: عدو شديد. انظر: اللسان " قبص " ٧ / ٦٩.

أَعَدْوَ الْقِبصَّى قَبْل عَيْرٍ، وَمَا جَرَى وَلَمْ تَدْرِ مَا خُبْرِي، وَلَمْ أَدْرِ مَالَهَا ؟

فمعنى "قبل عير" يريد به: الطرف، يقال: عَارَ الطَّرْفُ، يَعِيرُ، إذا نظر، يريد: السرعة، كما تقول: أَنَا أُسْرِعُ قَبْلَ أنْ تَطْرِفَ ، وفي القرآن الكريم: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾[1].

۞ وقد يدلُّ لفظ العين على معنى الجد أو اليقين، يقال: فعلت كذا على عيْنٍ، وفعلته عَمْد عَيْن، كقول خُفَافِ بن نَدْبَة[2]:

فَإِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكَا

۞ وبلغ لفظ العين، في استعماله أوج السمو والكمال، في التعبير عن الحفظ والرعاية، في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[4]، وقوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[5]، وقوله: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾[6].

ويبدو أنَّ انشغال الصفدي بعرض ثقافته اللغوية، وإدلاله بعلمه، وتطلُّعه إلى أنْ يفرغ من المقدمات إلى النتيجة ـ وهي الغاية من الكتاب ـ كانت من بين الأسباب التي جعلته يميل إلى النقل من كتاب فقه اللغة ومن المعاجم، ولا يحفل بالمجال الأدبي اكتفاء بالاختيارات الشعرية في نتيجته.

---

(١) سورة النمل ٢٧: ٤٠.

(٢) أبو خُرَاشَة، خُفَافُ بْنُ نَدْبَة، السُّلَمِيّ (ت نحو ٢٠ هـ) شاعر، فارس، من أغربة العرب، ديوانه مطبوع. انظر: الوافي بالوفيات ١٣ / ٣٥١، معجم الشعراء في تاريخ الطبري ١٨٨، وشعراء إسلاميون ٤٣٣، والأعلام ٢ / ٣٠٩. والبيت له في ديوانه ٦٦، وانظر تخريجاته في ص ١٤٤ من الديوان.

(٣) سورة هود ١١: ٣٧.

(٤) سورة طه ٢٠: ٣٩.

(٥) سورة الطور ٥٢: ٤٨.

(٦) سورة القمر ٥٤: ١٤.

obeikandl.com

المقدمة الثانية: وهي في سبب الدمع نقلاً وعقلاً[1].

أمَّا النقل: فيورد الصفدي من أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة ما تتضمن الإباحة للمؤمن أنْ يذرف الدموع تعبيرا عن الألم، وتخفيفا للشجن، ولكن يجب أنْ يتجمَّل بالصبر والجلد، فلا يقول، ولا يفعل ما هو تَسَخُّط لأقدار الله تعالى.

ثمَّ يتحدَّث عن الفرق بين بكاء الثكالى وبكاء المنافقين الذين يقدرون على امتلاك عيونهم، فيبكون بها متى يشاءون، وكيف يريدون، وقد يبكون بعين واحدة.

ويتضمن الفصل كثيرا من القصص التاريخي الذي قرأه المؤلف، أو سمع به من معاصريه، أو شاهده بنفسه، ولهذا القصص أهميّة كبيرة في إعطاء الكتاب مكانته الرفيعة بين كتب الاختيارات الأدبية.

وأمَّا العقل: فيذكر المؤلف ـ معتمدا على كتب الطب، والتشريح ـ منشأ الدموع، وأسباب خروجها، ونوعيها ـ الحار، والبارد ـ وكيف يتأتَّى للإنسان البكاء بعين واحدة، ومتى تتبدَّل الدماء بالدموع، ومتى تنقطع فَجْأَةً، وأهميَّة البكاء للطفل، فهو وسيلته في التعبير عن حاجته..

النتيجة:

وهي الغاية من تأليف الكتاب، وتشتمل على سبعة وثلاثين بابا[2]، لا يخضع ترتيبها لنظام معيَّن، ولعلَّ الصفدي بدأ بتنسيق عناوين الأبواب أولا، ثمَّ شرع يتصفَّح "تذكرته" ـ كما هي عادته في التأليف ـ فما وجده فيها يندرج تحت واحد من هذه الأبواب دوَّنه في موضعه، وعندما اجتمع له في كلِّ غرض منها عدد مناسب من المقاطع ـ سواء أكانت من حفظه، أو من تذكرته ـ أثبت في آخر الباب شيئا من نظمه هو، في الغرض نفسه، وكل أبواب الكتاب تشتمل على نظم له إلاّ القليل؛ فالأبواب التي خلت من شعره تسعة أبواب فقط[3].

---

(١) لذة السمع ١٢ / أ.

(٢) لذة السمع ١٥ / ب.

(٣) الأبواب التسعة التي خلت من نظم الصفدي هي: ١٦، ١٨، ١٩، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٣٧.

وتنتظم أبواب الكتاب في ستة موضوعات رئيسة وهي:

أوان البكان: وخصص له الصفدي الباب الأول، فقط.

أحوال البكاء: تحدَّث عنها في خمسة عشر بابا تحمل العناوين الآتية:

حيرته في الجفون خوف الرقباء ـ أنه غسل العين ـ أنه دم

الاعتذار لبياضه ـ ادِّعاء شربه ـ أنَّه ملح أجاج

في جريته في الخدود وترقرقه ـ سقيا الديار والمنازل به

كثرته وجود العين به ـ أنَّه ذوب النفس ـ عدمه وجفافه

الاعتذار عن البكاء ـ الافتخار به ـ الضحك بدلا عن البكاء

البكاء بدلا عن الضحك.

آثار الدموع والنتائج المترتبة عليها: وجعلها في ستة أبواب، عناوينها:

وجود الراحة فيه ـ أنَّه شاهد الحب ـ أنَّه فاضح الأسرار

أنَّه حجب الناظر ـ أنَّه قرَّح الجفون وخدَّد الخدود

أنَّه أذهب العين.

تشبيهات الدمع: وجاءت في تسعة أبواب، فقد شبهه الشعراء بـ:

النار أو الشرار ـ بالعقيق أو المرجان ـ النجوم ـ اللؤلؤ ـ

الزهر ـ المطر ـ النهر ـ البحر ـ التبسُّم.

المشاركون في البكاء: ولهم خمسة أبواب، عناوينها:

مباكاة الغمام والحمام ـ طلبه من الرفاق وعاريته للعشاق

بكاء المحبوب ـ بكاء العدو وغيره رحمة

استعارة البكاء لغير الإنسان.

متفرقات: في باب واحد، عنوانـه " في مفردات ما يتعلَّـق بالدمع " ووضع فيه المعاني التي لا تندرج تحت واحد من الموضوعات السابقة.

القضايا النقدية

جرت عادة الصفدي في مؤلفاتـه أن بتناول النصوص التي يذكرها بالنقد والتحليل، ويعرض بضاعته من العلم؛ فهو يتعرَّض إلى نظرات في النقد، والبلاغة، والنحو، والصرف، والفقه، واللغة، والتفسير، والطب... إلى جانب الطُّرَف التاريخية، وما وَعَتْه ذاكرته من أحداث ومواقف مرَّت به في حياته.

وتدور نظـراته النقدية في كتابه هذا ـ الذي نقدِّم له ـ حول ما سمَّاه النقَّاد الأقدمون "عمـود الشعـر"، ويعنون به سبع الخصال ـ أو المعايير ـ التي تُسْتَحَبُّ في الشعر[1]؛ فمن جَمَعَها كلَّها في نظمه كان ـ في رأيهم ـ المحسن المقدَّم على غيره، ومن لم يجمعها كلَّها فبقـدر سهمه منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان.

يكاد النقَّاد القدامى يجمعون على هذه المعايير، فهم يتخذونها قانونا يقوِّمون به الشعر، وكان الصفدي يلتزم بقواعدهم المقررة، ويردد أقوالهم المأثورة عنهم، ويسلك نهجهم في "الموازنـة" بين الشعراء ؛ فيذكر في خطبة الكتاب مقطوعتين لشاعرين مختلفين، في معنى واحد، ويوازن بينهما مشيرًا إلى الألفاظ الحَشْوِيَّة، والكلمات الغريبة الحوشية، والمفردات النابية المنفِّرة، وينقد الأساليب من حيث قلق التركيب، أو الضرورات النحوية، أو العروضية...

ويبدو التزام الصفدي بقواعد النقاد في هذا المثال:

يقول المرزوقي[2]: " إنَّ عيار " شرف المعنى وصحَّته" أنْ يُعْرَضَ على العقل الصحيح، والفهم الثاقب، فإذا تلقَّياه بالقبول والاصطفاء، مستأنسين بقرائنه كان وافيا وإلاَّ انْتُقِص بمقدار شَوْبِهِ ووحْشته "[3]، ويطبِّق الصفدي هذا المعيار على البيتين الآتيين لابن الساعاتي[4]:

---

(١) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي ١ / ٩، ومشكلة المعنى ٥٧.

(٢) أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن، المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ناقد، أديب، كان معلما لأبناء بني بويه، في أصفهان، من مؤلفاته: الأزمنة والأمكنة، وشرح ديوان الحماسة. انظر: والوافي بالوفيات ٨ / ٥، والأعلام ١ / ٢١٢، ومعجم المؤلفين ٢ / ٩١.

(٣) شرح ديوان الحماسة ١ / ٩.

(٤) أبو الحسن، علي بن محمد بن رستم، بهاء الدين (٥٥٣ ـ ٦٠٤ هـ) شاعر مجيد، مدح الملوك والأمراء، مولده في دمشق ووفاته في القاهرة، وديوانه مطبوع. =

جَفْنِـي الَّـذِي يَـرِدُ الْكَـرَى مُتَأَسِّـنًا كَلِـفٌ بِفَاتِـرِ جَفْنِـهِ الْمُتَوَسِّـنِ
وَلَقَـدْ زَنَـتْ عَيْنِـي بِرُؤْيَـةِ غَـيْرِهِ جَهْـلاً وَرَجْـمُ الـدَّمْعِ حَـدُّ الْمُحْـصِنِ

فيرى أنَّ المعنى فيه عيبان:

أحدهما: أنَّه ما وَطَّأ للإحصان فيما تقـدَّم حتَّى ينطبـق الْمُفْصِلُ على الْمُفْصِلِ.

والآخر: أنَّه ما القاعدة في الرجم أنْ تكون بالدمـوع؛ وكان ينبغي أنْ يقدِّم لذلك مقدِّمات تؤيِّد هذه الدَّعْوى.

ويعيب على الشاعـر استعمال لفظ "الزِّنا" وهو لفظ غير لائق بالمحبوب، وينفر منه السمع ؛ لتحريمه في الشرع[1].

وأحيانا ينقل أقوال النقَّاد بنصِّها،كما في نقده لبيت أبي تمَّام[2]:

لاَ تَـسْقِنِي مَـاءَ الْمَـلاَمِ فَـإِنَّنِي صَـبٌّ قَـدِ اسْـتَعْذَبْتُ مَـاءَ بكَـائِي

فعندما سمع بعضهم هذا البيت جهَّز إليه كوزًا، وقال: ابعث لي في هذا قليلا من ماء الملام.

فقال أبو تمَّام: حتَّى تبعث لي بريشة من جناح الذل[3].

وهذا البيت قد أثار جدلا طويلا بين النقّاد[4]؛ والسبب كما يقول الثعالبي:

= انظر: الغصون اليانعة ١١٨، طبقات الأطباء ٦٦١، وأدب الدول المتتابعة ٣٠٣، دائرة معارف البستاني ٣ / ١٥٦، والأعلام ٤ / ٣٣٠، ومعجم المؤلفين ٧ / ٩٢.

(١) لذة السمع ٢٠ / ب.

(٢) أبو تمَّام، حبيب بن أوس، الطائي (١٨٨ ـ ٢٣١ هـ) شاعر مطبوع، دقيق المعاني ديوانه مشهور، وجمع ديوان الحماسة، ونسبت إليه نقائض جرير والأخطل. انظر: سير أعلام النبلاء ١١ / ٦٣، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ١٥٨، ودول الإسلام ١ / ٣٩، والوافي بالوفيات ١١ / ٢٩٢، ووفيات ابن قنفذ ١٦٨، ومعجم الشعراء في تاريخ الطبري ٦٩، والأعلام ٢ / ١٦٥، ومعجم المؤلفين ٣ / ١٨٣.

(٣) لذة السمع ٢٧ / ب.

(٤) انظـر: الأمالي الشجرية ١ / ٢٢٤، وأخبار أبي تمَّام ٣٤، والموازنة ١ / ٢٦١، والمثل السائر ١ / ١٥٥، وشرح التلخيص ٥٨٢.

"العرب تستعير في كلامها الماء لكل ما يحسن منظره وموقعه، ويعظم قدره ومحلّه، فتقول: ماء الوجه، وماء الشباب، وماء الحياة... لذلك فإنَّ استعماله في خلافه مستهجنٌ"[1]، وهذا الجدل يكشف عن نظرة القدماء لقيمة الشعر، إذ هو في رأيهم تراث الأمة، وديوان العرب، فهو" ملك للأفراد العاديين من الناس، هؤلاء لهم منطق وحكم، وهم أصحاب الشعر الحقيقيون "[2]؛ لذلك اسْتُهْجِن كل مخالفة للتراث، وعيب الخروج عن العرف الأدبي أو اللغوي، واعتبر مارقا من " عمود الشعر "، وأمَّا من وافق التراث والعرف، وأتى بالغريب أو النادر فلا يُعَدُّ خارجا عن عمود الشعر، وإنَّما يحكم على قوله بأحكام أخرى كالمبالغة، والإغراق، والغلوّ، والتخييل...[3]؛ والدليل على ذلك أنَّ الصفدي لا يرضى عن استعارة أبي تمام، ويرضى أنْ تحيض العين[4]، ومن هنا وقع في كثير من التناقض، والخلط في مواجهة النص الأدبي، ومردُّ ذلك التصوُّر الخاطئ لما يُسَمَّى "عمود الشعر" القائم على الفصل بين اللفظ والمعنى، فقد استخلص البلاغيون قواعدهم من لغة الناس العادية، لا من روائع الآثار، واستعمالات الشعراء الكبار[5]، ونظروا إلى الاستعارة على أنَّها مجرد زينة، ونوع من أنواع البديع، ومن أمثلة التناقض الذي وقع فيه المؤلف نقده للبيتين الآتيين:

وَقَائِلَـةٍ: مَـا بَـالُ دَمْعِـكَ أَبْيَـضَا فَقُلْـتُ لَهَـا: يَـا عَلْـوُ هَـذَا الَّـذِي بَقِـي

أَ لَمْ تَعْلَمِـي أَنَّ الْبُكَـا طَـالَ عُمْـرُهُ فَشَابَتْ دُمُوعِي مِثْلَ مَا شَابَ مَفْرِقِـي ؟

يقول الصفدي: إنَّ الشاعر لم يذكر أنَّ دمعه كان أحمر، ثم انقلب إلى اللون الأبيض، ويرى أنَّ كلمة " الشيب" لا تكفي للإشارة إلى تغيُّر اللون[6]؛ وفي هذا النقد تحكُّم لا مبرِّر له.

---

(١) نقول أدبية ٥٠٣ " في آخر مخطوطة التشبيهات المشرقية ".
(٢) مشكلة المعنى ٥٨.
(٣) النقد الأدبي الحديث ٢٢٥.
(٤) لذة السمع ٢١ / ب.
(٥) مشكلة المعنى ١٠٩.
(٦) لذة السمع ٤ / ب.

ناقض الصفدي رأيه السابق في تعليقه على الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ **فَٱرْتَد بَصِيرًا** ﴾[1]؛ لأنَّه يقول : إنَّ فيها تنبيهً على أنَّه كان قد عمي ؛ لأنَّه ارْتَدَّ إلى حالة كان على خلافها، والإبصار يخالف العمى ، والحالتان متشابهتان، وما يصدق على واحدة منهما يصدق على الأخرى[2].

ومن أمثلة الخلط في الأحكام النقدية نظرته إلى المعنى بمعيار العقل الصحيح والفهم الثاقب، في الوقت الذي يرى فيه أنَّ المعنى في الشعر هو "الكذب"، ويستحسن من الشاعر دعوى غير الإمكان[3]، وكان نقَّاد العربية يطلقون لفظ "الكذب" على "الخيال الشعري"، فكيف يستحسن الكذب في حكم العقل السليم؟

يرى الصفدي أنَّ تشبيه الدمع بالدم فتح الباب للشعراء؛ فشبهوه بالعقيق والمرجان، والياقوت لمجرد الحمرة في اللون، فمنهم من شبَّه، ومنهم من استعار، ولَّما غلب استعمال الشعراء "الدم" في الدمع، و"تداولت الأسماع وروده عليها، وألفت وقوعه فيها صار"حقيقة عرفية" عند الخاص، والعام، وصار هو الأصل والدمع فرعا عليه"[4].

ألحَّ نقاد العربية على علاقة الاستعارة بالتشبيه، وأنَّها تستند إليه، وتقوم به، وحينما تعدُّوا أمثلتهم المصنوعة، أو المأخوذة من لغة العامة إلى النصوص الأدبية الراقية واجهتهم صعوبة بالغة في إيجاد هذه العلاقة، مما جعل الجرجاني[5] يرى أنَّ الاستعارة

---

(١) سورة يوسف ١٢: ٩٦.

(٢) لذة السمع ٦ / أ.

(٣) لذة السمع ٣ / ب.

(٤) لذة السمع ٤ / ب، ويراجع في مفهوم " الحقيقة العرفية " معجم البلاغة ١ / ٢٠٩.

(٥) أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) إمام في النحو والبلاغة، له شعر رقيق، من مؤلفاته: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وإعجاز القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٣٢، والعبر ٢ / ٣٣٠، ودول الإسلام ٢ / ٥، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٣١٢، والوافي بالوفيات ١٩ / ٤٩، والكنى والألقاب ٢ / ١٤٣، والأعلام ٤ / ٤٨، ومعجم المؤلفين ٥ / ٣١٠.

قد لا تُحَلُّ إلى التشبيه، ولكنه لا ينتهي إلى فكرة إلغاء المشابهة التي هي أصل الاستعارة عند البلاغيين القدماء[١]

والمجددون في النقد الحديث يرون أنَّ المشابهة الموضوعيّة لا وجود لها في الاستعارة غالبا، فتشبيه الدمع بالعقيق وغيره، واستحالته إلى دم، وجرْيِه في العين كالسيول والأنهار، كل تلك الصور يمكن تفسيرها استنادا إلى عرف لغوي ـ كما يقول الصفـدي ـ إذا أخذنا بنظرية "تفاعل الدلالات" في النقد الحديث " إنَّنا نقول: سال الماء، وسال الدمع، وحينئذ ـ يقول ريتشارد ـ: إنَّ الدموع تُعْطَى للسيل، وسوف يصبح عنصر الدمع جزءًا من معنى السيل، ولو في بعض الأحيان لأنَّ الدلالات يتسرَّب بعضها في بعض"[٢]، ونقول: أنْهَرْت الدم: أسَلْتُه[٣]، وكثير من الكلمات في اللغـة تُقَوِّي التفاعل والامتزاج بين الماء والدمع، والدم، واستعمال الشعـراء هذه الألفاظ خير دليل على ذلك ؛ يقول ذو الرمَّة[٤]:

وَصَـلْتُ دَمًـا بِالدَّمْـعِ حَتَّـى كَـأَنَّمَا يُـذَابُ بِعَيْنِـي لُؤْلُـؤٌ وَعَقِيـقُ

ويقول مجنون بني عامر[٥]:

---

(١) الصورة الأدبية ١٤٠، والمدخل إلى دراسة البلاغة ١٢٦، و ١٤٢.

(٢) مشكلة المعنى ٩٧.

(٣) مادة " نهر " في أساس البلاغة ٤٧٤، ولسان العرب ٥ / ٢٣٧.

(٤) أبو الحارث، غَيْلان بن عقبة بن بيهس، العدوي، المضري (٧٧ ـ ١١٧هـ) شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، وواحد من عشَّاق العرب المشهورين، له ديون ضخم.
انظر: الأغاني ١٨ / ١، سمط اللآلئ ٨١، والعقد الفريد ١ / ٤١٨، والمطربات المرقصات ٣٠، ومنهاج اليقين ٥٩٩، وأسماء المغتالين ٣٠١، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٧، والبداية والنهاية ٩ / ٣١٩، وشرح أبيات المغنى ١ / ٢٣٣، والمقاصد النحوية ١ / ٤١٢، ومرآة الجنان ١ / ٢٥٣، والكنى والألقاب ٢ / ٢٥٣، والأعلام ٥ / ١٢٤، ومعجم المؤلفين ٨ / ٤٤. والبيت له في النوادر ٥٤١.

(٥) قيس بن الملوَّح بن مزاحم (ت ٦٨ هـ) شاعر، غزل، من سكَّان البادية، نسب إليه شعر كثير، وديوانه مشهور. انظر: بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر المخطوط رقم ٣٧٥ مجاميع تيمورية، ومروج الذهب ٤ / ١٥٨، وعقلاء المجانين ٤٧، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٥، والوافي بالوفيات ٢٤ / ٢٩٧، وحديث الأربعاء ١ / ١٧٣، والأعلام ٥ / ٢٠٨، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٣٥. والبيت له في ديوانه ٤٦.

وَلَــوْ أَنَّ عَيْنًــا طَــاوَعَتْنِيَ لَمْ تَــزَلْ تَرَقْــرَقُ دَمْعًــا أَوْ دَمًــا حِــينَ تَــسْكُبُ

ويقول المتنبي[1]:

إِنَّ الْقَتِيــلَ مُــضَرَّجًا بِدُمُوعِــهِ مِثْــلُ الْقَتِيــلِ مُــضَرَّجًا بِدِمَائِــهِ

والأمثلة على ذلك أكثر من أنْ تُحْصَى[2]؛ أليس الدَّمْع أصله الدم ؟[3]، وبين اللفظين نوع من الاشتقاق الكبير[4].

هذه النظرات القليلة في النقد التي اشتمل عليها هذا الكتاب لا تكفي لإعطاء فكرة صحيحة عن مذهب الصفدي النقدي، وما له من أصالة في بحوثه، فهو أكبر نقَّاد عصره على الإطلاق، وأعظمهم مكانة، ويتضح مذهبه النقدي من كتبه النقدية الأخرى التي خصصها لعلوم البلاغة[5] ـ وإنْ كان يقلِّد في أمور كثيرة، ويتأثَّر بأقوال السابقين من البلاغيين والنقاد شأنه في ذلك شأن مؤلفي عصره الذين جمعوا بين الأصالة والتقليد، والتأثر والابتكار[6].

الخصائص الأسلوبية للمؤلف

أولا: خصائص أسلوبه في النثر:

كَتَبَ الصفـدي في علوم اللغـة، والتاريخ، والأدب، وكَتَبَ الرسائل في ديوان الإنشاء، وتنوَّعت أساليبه باختلاف الفنون، وتنوُّع الأغراض، وما تقتضيه مراعاة الأحوال.

إذا كتب في علوم اللغـة، والنحو، والبلاغـة طبَّق خصائص الأسلوب العلمي،

---

(١) ديوانه ٣٤٣.

(٢) انظر المواد اللغوية الآتية، في أساس البلاغة، ولسان العرب، وتاج العروس، وغيرها من المعاجم العربية والمواد هي: بجج، دمع، ضرج، عان، عبر، غسق، نحا.

(٣) لذة السمع ٤ / ب، ١٤ / ب.

(٤) انظر عن معنى الاشتقاق الكبير كتاب " الاشتقاق " لابن دريد ٢٨.

(٥) انظر فصل "الصفدي الناقد" في كتابي "الصفدي وآثاره في النقد والأدب" ٤٦٤، وانظر أيضا كتاب "النقد الأدبي في القرن الثامن الهجري بين الصفدي ومعاصريه" للدكتور / محمد علي سلطاني.

(٦) انظر: مقدمة فض الختام ٦١.

كما نعرفها اليوم: فاللفظ محدد الدلالة، والجملة بسيطة التركيب، والمعنى واضح بيِّن، والتعريف مشروح من الوجهتين: اللغوية، والاصطلاحية، ويعرض الآراء عرضا أمينا، ويوازن بينها، ويعلِّق عليها، ويعلِّل للنتائج، ويرتِّب الفكرة ترتيبا منطقيا، وتكاد عبارته تخلو من المحسنات بنوعيها: اللفظي، والمعنوي، وتتجرَّد من التأنق، ومن الموسيقا.

ومن هنا يدرك القارئ الفرق الكبير بين أسلوبيه في النثر:

النثر الفني الغارق في البديع، والنثر العلمي الخالي من الصنعة، ويستطيع القارئ أنْ يقلِّب صفحات: الغيث المسجم، أو تمام المتون، أو تصحيح التصحيف... أو أي كتاب من كتبه العلميـة ليرى هذا الالتزام المنهجي والتعبيري؛ فيجده في مقدِّمة الكتاب يذكر الخطَّة التي رسمها له، والموضوعات التي تناولها فيه، وكثيرا ما يشير إلى المصادر التي اعتمدها؛ وبذلك يكون قد طبَّق المنهج العلمي الدقيق لأسلـوب الكتابة والتأليف، كما لا تخلو مؤلفاته ـ كعادة الأقدمين ـ من الاستطراد، والنكتة الأدبية، والطرفة التاريخية[1].

والصفـدي صاحب مدرسة متميِّزة في الكتابة التاريخيـة تركت آثارًا بعيدة المدى في المعاصرين له، وفي المؤرخين الذين جاءوا من بعده؛ فما كتاب "فوات الوفيات" لابن شاكر الكتبي إلاَّ نقل بالنص من كتاب الوافي بالوفيات في أكثر تراجمـه[2]، وابن تغـري بردي يحذو حذوه في كتابي الصفدي الوافي بالوفيات وأعيان العصر فيكتب كتابيه: المنهل الصافي، ويختصره في الدليل الشافي متخـذا منهج الصفدي وأسلوبه، في الكتابين.

وقد راعى الصفدي في كتابتـه التاريخية ما يراعيه كبار المؤرخين من القيود

(١) راجع عن الخصائص الأسلوبية في نثر الصفدي، ومنهجه في التأليف الفصل الثالث من كتابي " الصفدي وآثاره في النقد والأدب " ص ٣٠١ ـ ٣٣٤، و انظر: مقالتين لي عن منهج الصفدي في كتابه " أعيان العصر وأعوان النصر" وهما منشورتان في مجلة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، في العدد ٢٠ / ٢٠٠٣م ص ٢٨٤، والعدد ٢٢ / ٢٠٠٥م ص ٤٠٤.

(٢) انظر: مقدمة فوات الوفيات ١ / ٤.

وأسلوبه فيها "من أقعد أساليب الأدب في عصره، لا يلتزم السجع كثيرا"[1]، ولا حجّة لما اعترض به محقق كتاب " فض الختام " على هذا الرأي زاعما أنَّه " يلتزم في الحقيقة السجع كثيرا، وألوانا بديعية أخرى تطغى في بعض إنشائه على المعني "[2]؛ فأسلوبه في التراجم صاف، جزل، قلَّ أنْ تجد فيه جملة مسجوعة، وإنْ وجدت فليست من النوع المذموم، بل هي عذبة، كثيرة الماء.

وفي المقدِّمة القيِّمة لكتاب "الوافي بالوفيات" شرح المؤلف فيها خصائص منهجه، وبيَّن اختياره في كيفية الترتيب بين الكنى والألقاب والأسماء[3]، وهو مبتكر طريقة وضع الكنى والألقاب مرتبة هجائيا في أول المادة اللغوية، وأمام كل منها أسماء الأعلام الذين عرفوا بتلك الكنى والألقاب، والراجح عندي أنَّه استفادها من كتب الرجال السَّابقة، ولكنه نظَّمها، وأدخلها في الكتابة التاريخية، وهي الطريقة ذاتها التي رُتِّبت، وصُنِّفت على منوالها جميع معاجم التراجم الحديثة مثل الأعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين لكحَّالة...

وتمثِّل كتابته التاريخية أسلوب العصر خير تمثيل؛ فقد تجد فيها بعض الألفاظ العاميَّة، وكثيرا من الكلمات الدخيلة، أو المحرَّفة التي يصعب اليوم فهم معناها إلاَّ بعد الرجوع إلى المعاجم المختصّة في لغة ذلك العصر، وهي في معظمها كلمات غير عربية انحدرت إلى لغتنا من لهجات كثيرة ولغات متعدِّدة، بحسب جنسيَّات المماليك المختلفة، وتتجلَّى تلك الكلمات في: رتب الأمراء العسكرية، والوظائف الإدارية، وألقاب الأشراف، وأثاث البيت وأدواته، وأنواع الطعام والشراب، وأصناف الثياب، وغير ذلك من الأمور المتعلِّقة بالحياة اليوميَّة، مما أوجد صراعا بين العاميَّة والفصحى؛ يُعْزَى إليه ظهور الأزجال، وكثير من الفنون الشعبية[4].

ويمكن أنْ نميِّز ثلاثة مستويات مختلفة في نثر الصفدي:

---

(١) كنوز الأجداد ٣٦٤.

(٢) فض الختام ١٦.

(٣) الوافي بالوفيات ١ / ٣٣، والابتهاج بتطريز الديباج ٢٩.

(٤) المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ١٤٤.

المستوى الأول: أسلوبه في الكتابة الديوانية، وهو مثقل بكل أنواع القيود البديعية يلتزم فيه السجع التزاما، ويتكلَّف له من أنواع البديع ما يجعله ثقيلا على النفس، سمجا في الأسماع، مملاً، وهو في ذلك إنَّما يجاري كتَّاب عصره، وسنَّة أمرائه، ويخاطبهم بما اعتادوا أنْ يقرءوه في المراسلات الرسمية من: تقاليد ـ أي: أوامر التكليف ـ وإجازات، ورسائل...وقد جمع نماذج كثيرة من هذا النوع في ديوان مراسلاته[1].

والمستوى الثاني: وهو الإنشاء الأدبي الَّذي يراعي فيه نظراءه من الكتَّاب والأدباء، ومنافسيه من البلغاء والمترسِّلين؛ وفي هذا النوع يستعرض براعته في فنون القول، وتمكَّنه من ناصية البلاغة؛ فتخلو عبارته من الرونق، وتوشك أنْ تكون صورة معدَّلة لكتابته الديوانية، ويمثِّل هذا النوع "خطبة" كتبه.

والمستوى الثالث: أسلوبه المعتاد الذي يساير فيه الطبع الرضي، والسجيّة السمحة، ويتخلّص فيه من أثقال البديع؛ فإنَّه يأتي فيه بسحر البيان أو بيان السحر[2] ـ كما قال ابن معصوم[3] ـ وإنْ شئت دليلا على ذلك فاقرأ حديثه عن شيخه ابن تيمية قال: " كان إذا تكلَّم أغمض عينيه، وازدحمت العبارة على لسانه، فرأيت العجب العجيب، والحِبْر الَّذِي ما له مُشَاكل في فنونه ولا ضريب، والعالم الَّذي أخذ من كلِّ شيْء بنصيب، سهمه للأغراض مصيب، والمناظر الَّذي إذا جال في حومة الجدال رمى الخصوم من مباحثه باليوم العصيب..."[4]؛ فالعبارة في هذا المثال ـ كما في كل تراجمه ـ جيِّدة السبك، متينة الرصف، عذبة الوقع، ولا يعيبها ما فيها من سجع.

والتزام السجع من العيوب التي وُسِم بها أسلوب هذا العصر، ولكنَّ الواجب

---

(١) منه المخطوطة رقم ٤٢٦ / أدب، تيمورية، دار الكتب المصرية.

(٢) أنوار الربيع ١ / ١٢٨.

(٣) على خان بن أحمد الحسيني (١٠٥٢ ـ ١١١٩ هـ) أديب، ناقد، لغوي، شاعر، أشهر مؤلفاته أنوار الربيع. انظر: الأعلام ٤ / ٢٥٨، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٨.

(٤) الوافي بالوفيات ٧ / ١٩.

والإنصاف يحتِّمان وضع القضيَّة في إطارها الصحيح، فليس كل سجع عيبا، فهو ـ كما يقول شوقي[1] ـ " شعر العربية الثاني، وقواف مُرِنَّة رَيِّضَة خُصَّت بها الفصحى، يستريح إليها الشاعر المطبوع، ويرسل فيها الكاتب المتفنن خياله، وقد ظلم العربية رجال قبَّحوا السجع، فعدُّوه عيبا فيها، وخلطوا الجميل المتفرِّد بالقبيح المرذول منه، يوضع عنوانا لكتاب، أو دلالة على باب، أو حشوا في رسائل السياسة، أو ثرثرة في المقالات العلمية"[2]، ولو لم يكن للسجع تلك الموسيقا العذبة، والتأثير النفسي الآسر لما كثر وروده في القرآن الكريم، والحديث الشريف[3].

ويرجع استعمال السجع في الأدب العربي إلى دوافع دينية ولغوية؛ فبعض الفواصل في القرآن الكريم مسجوعة، وروي الكثير من أحاديث الرسول ﷺ ومن دعائه في عبارات مسجوعة[4]، كما ورد السجع في كثير من مأثور الكلام عن السلف الصالح، وهذه الجذور الدينيـة تترك آثارها في عقل المسلم ووجدانه، ويجرى السجع على لسانه قصدًا أو عفوًا.

ونقطة الانطلاق كانت في كثير من المرَّات اللغة نفسها؛ فالَّذين كتبوا السجع لم تكن تعيش في أذهانهم فكرة معيّنة، وإنَّما كانت تعيش في ذاكرتهم ثروة لغوية خصبة[5]، وقد أجمع نقَّاد الأدب على أنَّ المعيب من السجع هو المتكلّف المنافي للذوق.

ويتميَّز أسلوب الصفدي في هذا الكتاب، بخاصَّة بمميزات كثيرة، منها:

❁ في خطبة الكتاب يلتزم الكاتب السجع التزاما، وقد يضطـره إلى أنْ يستخدم

---

(١) أحمد شوقي بك بن علي بن أحمد شوقي (١٨٧٠ ـ ١٩٣٢) أمير شعراء العرب المعاصرين، مولده ووفاته في القاهرة، ديوانه مشهور، وألف كثيرا من المسرحيات الشعرية والنثرية. انظر: الأعلام ١ / ١٣٦، ومعجم المؤلفين ١ / ١٤٦.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، بدمشق، جـ/ ١، مج: ٣٤/ ص ٧٦.

(٣) المثل السائر ١ / ٢٧١.

(٤) كشف الخفاء ١ / ٢٧٢.

(٥) راجع مقال الدكتور شكري فيصل في مجلة المجمع العلمي العربي، بدمشق جـ/ ١، مج ٣٤/ ص ٢ ـ ٨.

من صور الكلمات المزيدة نماذج غير مطروقة، ولم يكثر تداولها ويتكلَّف ذلك عمدًا؛ فمن ذلك قوله:

"واتَّقى لَمَّا اتَّقح"[١]، فوزن " افتعل " من الفعل " وقح " قليل الاستعمال، وما اضطَّره إلى هذا إلاَّ السجع، وما يكاد يفرغ من تلك المقدَّمة حتى يتخلَّص من السجع، وينطلق أسلوبه عذبا، سلسا، خاليا من القيود إلاَّ في فقرات قليلة.

۞ لا يراعى الدِّقَّة أحيانا في الاستعمال اللغوي لبعض الكلمات؛ ففي قوله: "الغُدْرَان الطَّاغِية"[٢] تجوَّز كبير، فالغدران قليلة الماء، ولا يوصف ماؤها بالطغيان، وفى قوله: "شهادة من طفا بها يقينه"[٣] يستعمل الطفو بمعنى: الزيادة؛ وهو استعمال عاميّ.

۞ قد يجمع اللفظ على غير قياس؛ فقوله: " عُشِيًّا: جمع أعشى "[٤] غير معروف، فالمعروف أنَّ عُشًا ـ على وزن دُجا ـ جمع عاش حذف منه الهاء[٥].

۞ وربَّما حمَّل الصيغة الصرفية معاني من وحي حِسِّه اللغوي؛ ففي قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ ﴾[٦] يرى في صيغة التصغير ـ على قراءة من قرأ " عُشِيًّا " ـ تصنَّع البكاء، والتظَّاهر به؛ إذْ لا حزن عندهم على الحقيقة[٧].

۞ غالبا ما يفصل بين الشرط وجوابه، وقد يصل الفصل في بعض الأحيان صفحات كثيرة؛ ففي قوله: " فإنِّي لَمَّا رأيت الشعراء... أحببت أنْ أجمع "[٨] فصل بين الشرط وجوابه بعشرات الصفحات.

---

(١) لذة السمع ١ / ب.
(٢) لذة السمع ٢ / ب.
(٣) نفسه ١ / ب.
(٤) نفسه ٥ / ب.
(٥) راجع البحر المحيط ٥ / ٢٨٨.
(٦) سورة يوسف ١٢: ١٦
(٧) لذة السمع ١ / أ، والقراءة على التصغير هي قراءة الحسن البصري، راجع مختصر في شواذ القرآن ٦٢، والكشاف ٢ / ٣٠٧.
(٨) لذة السمع ٢ / أ، و٧ / أ.

علما بأنَّ الصفدي يستعمل "لَمَّا" كثيرا ظرفا، وشرطا، ولا يكاد يغادرها إلى غيرها من الأدوات.

❁ قد يؤخذ عليه تغيير رواية الشعر، ليصح الاستشهاد به في الموضع الَّذي يريد الاستشهاد به فيه، فمن ذلك:

❁ في قول مزاحم بن الحارث العقيلي[1]:

فَقُلْتُ: وَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا تَلاَقٍ، وَعَيْنِي بِالدُّمُوعِ تَمُورُ

يرويه الصفدي: "وعيني بالدماء تمور" ليصح الاستشهاد به في دعوى الشعراء أنّهم بدَّلوا الدماء بالدموع.

❁ وفي قول الشريف الرضي[2]:

وَتَرَكْتَنِي ظَمْآنَ أَشْرَبُ غُلَّتِي أَسَفًا عَلَى ذَاكَ اللَّمَى الْمَنْوعِ

يرويه: "أشرب أدمعي" ليصحّ استشهاده به في موضعه من الباب الخامس عشر، ولعل الصفدي كان يهدف من تغيير الرواية إلى إظهار علمه، وبراعته في النحو، فمثلا:

❁ في قول الوأواء الدمشقي[3]:

أَيَا هَذِهِ إِنَّ السَّحَابَ الَّتِي تَسْرِي بَكَتْ لِبُكَائِي رَحْمَةً وَهْيَ لاَ تَدْرِي

---

(١) مزاحم بن الحارث العُقَيْلي (ت ١٢٠ هـ) فارس شجاع، وشاعر غزل، وكان مع رقّة شعره هجَّاءً وصَّافًا. انظر: شرح أبيات المغني للبغدادي ٣ / ٢٦٩، و٨ / ١١١، وشعراء الأعراب ١٨، والأعلام ٧ / ٢١١، ومجلة معهد المخطوطات العربية مج٢٢، جـ/ ١، ص ١٠٠.

(٢) أبو الحسن، محمد بن الحسين بن موسى الرضيّ، الحسيني، الموسوى، الملقَّب بذي الحسبين (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ) أشعر الطالبيين، ونقيب الأشراف، مولده ووفاته في بغداد، له ديوان شعر مشهور، وله مجاز القرآن. انظر: دمية القصر ١ / ٢٧٣، وإنباه الرواة ٣ / ١١٤، والمحمدون من الشعراء ٢٤٣، ونزهة الجليس ١ / ٥٤٤، والأعلام ٦ / ٩٩، ومعجم المؤلفين ٩ / ٢٦١.

(٣) أبو الفرج، محمد بن أحمد، الغسَّاني، الدمشقي، الوأواء الدمشقي (ت ٣٨٥ هـ) شاعر مطبوع، كان أوَّل أمره مناديا بدار البطيخ في دمشق.
انظر: الوافي بالوفيات ٢ / ٥٣، والأعلام ٥ / ٣١٢، ومعجم المؤلفين ٨ / ٣٠٧..

يرويه الصفدي: " إنَّ السحاب الَّتِي تَرَيْ " ويتحدَّث حديثا مطوَّلا عن جواز حذف النون من المضارع المرفوع على لغة من يقول:

أَبِيتُ أَسْرِي وَتَبِيتِي تَدْلُكِي

ويستعرض ثقافتيه الدينية واللغوية، ويأتي بشاهد على هذه اللغة من الحديث الشريف، وهو ترويه كتب النحو، وكتب الحديث، من قول الرسول ﷺ: **﴿لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّة حَتَّى تُؤْمِنُوا﴾**ورواية البيت في الديوان لا شاهد فيها على هذه اللغة.

ولا يمكن اتهام الصفدي بتغيير الرواية عامدا تهمة بغير دليل، فقد اعترف هو نفسه بأنَّه كثيرا ما يصلح في شعر غيره، وفي مواضع كثيرة من كتبه يصرِّح بذلك، وسأكتفي بمثال واحد فقط، ففي قول الشريف الناسخ[1]:

طُوِيَتْ لَهُ الأَرْضُ الْفَسِيحَةُ فَاغْتَدَى يَجِبُ الْمَهَامِهَ فِي ظَلاَمِ الْحِنْدِسِ

قال الصفدي: "قد توهَّم الشريف ـ رحمه الله ـ أنَّ "يجب" بمعنى: يجوب، ولو قال " يَفْرِي المهامه "لاستراح، وقد أصلحت من شعره ما أمكن "[2].

❁ وقد يلجأ إلى الإلغاز، ويتعمَّد ذكر الغريب من أسماء الأعلام، والكنى؛ ربَّما ليعمِّي على القارئ، أو ليختبر علمه وثقافته، فمن ذلك:

❁ قال: رُوِيَ عن سالم ـ راوي عاصم ـ المقرئ ﷺ أنَّه قال:...

أراد بسالم: أبا بكر بن عيَّاش، وقد اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولا، منها سالم، وأشهرها شُعْبَة، وقيل: إنَّ كنيته هي اسمه، ولم يذكر في أكثر كتب الرجال إلاَّ بهذه الكنية[3].

---

(١) محمد بن رضوان السيّد الشريف العلوي الحسيني الدمشقي الناسخ (ت ٦٧١ هـ) أديب، شاعر، إخباري، له مشاركة في بعض العلوم، وكان يتكسَّب من نسخ الكتب.
انظر: الوافي بالوفيات ٣ / ٧٠، وفوات الوفيات ٣ / ٣٥٤.

(٢) الوافي بالوفيات ٣ / ٧٢.

(٣) لذة السمع ٦ / ب.

ﷺ ويذكر سَلْم الخاسر ـ تلميذ بشَّار ـ باسم: سالم، والاسم الأول هو المشهور في كتب الرجال[١].

ﷺ ويذكر الإمام أبا القاسم جار الله الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ باسم " محمود الخوارزمي" ولولا أنَّه قال عنه بعد هذا الاسم أنَّه صاحب الكشَّاف لما أمكن الاهتداء إلى صاحب الاسم، فما أكثر العلماء الذين أنجبتهم خوارزم، وأسماؤهم محمود[٢].

ثانيا: خصائص أسلوبه في الشعر:

الصفدي شاعر موهوب، ظهرت موهبته الشعريّة في وقت مبكّر وتعهَّد الشاعر موهبته بالصقل، والتهذيب، فأخذ يوسّع مداركه بالاطلاع الواسع، والدراسة الجادة، والذهن المتوقّد، كما كان " من ولوعه بالرسم، لأوّل نشأته ما أخرج منه خطّاطًا مبدعا، وقوّى فيه موهبة التصوير في الشعر والنثر، وجمّل أدبه"[٣] وكانت له الرواية الكثيرة، والعلم الغزير[٤].

وإذا كان أهل صناعة ما أدرى الناس بأسرارها، والشعر صناعة لا يعرفها إلاّ أهل العلم بها[٥]؛ فابن نباتة في إجازته الصفدي يفرط في الثناء عليه، وعلى شعره الذي " يسرى الطائيّان تحت عَلَمِه المنشور...إنْ شَعَرَ هامت الشعراء بذِكْرِه في كل واد، وخَمَل ذِكْرُها في كل ناد، ونُصِبَتْ بيوته على يَفَاع الشَّرف كما تنصب بيوت الأجواد، طالما بلّد لبيدا، ووَلَّى شعر ابن مقبل منه شريدا، وقالت الآداب لبحتريّ لفظه: **﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾**[٦]"[٧].

---

(١) لذة السمع ٩ / ب.
(٢) لذة السمع ٢٥ / ب.
(٣) كنوز الأجداد ٣٦٣.
(٤) راجع كتابي " الصفدي وآثاره في النقد والأدب " فصل " الصفدي الشاعر " ٣٨٦ ـ ٤٦٤، وعن لغة الشعر عنده راجع دراستي لها في مقدمة كتابه "الروض الباسم والعرف الناسم" ٣٧ـ١٠٨.
(٥) انظر: طبقات فحول الشعراء ٨، والعمدة ١ / ١١٧.
(٦) سورة الشعراء ٢٦: ١٨.
(٧) الوافي بالوفيات ١ / ٣١٥، وخزانة الأدب ٢ / ١٣٥.

وفي بعض الأحيان يكون الطعن، والتجريح أصدق الأدلّة على عظمة الشاعر، وعلو قدره، وارتفاع منْزلته؛ فلكل شاعر كبير معجبون به، وحاقدون عليه، ورأي الفريقين يخدم العلم، ويثري فنّ النقد، ويكشف جوانب مجهولـة، في شعـره، و يجلّي غوامض مذهبه الفني، وخصائص أسلوبه، وقد وجد الصفدي من الشعراء، والنقاد طائفتين:

الأولى: تحسده، وتتحامل عليه، وكان يتزعّمها: العز الموصلي[1]، والبدر البَشْتَكِيّ[2]، وابن أبي حَجَلَة[3]، وابن حجة.

والأخرى: تناصره، وتدافع عنه، منهم: ابن كثير[4]، وابن تغري بردي، وابن معصوم، والخوانساري[5].

وهذه طائفة من أقوال النقاد في شعره:

❁ قال ابن كثير: " له الأشعار الفائقة، والفنون المتنوعة "[6].

❁ قال ابن تغري بردي: " لولا أنّه كان راضيا بشعره؛ لكان يندر له الرديء، ويكثر منه الجيّد؛ فإنّه كان غوّاصا على المعاني، مبتكـرًا للنكت البديعـة، عارفا بفنون الأدب، وعندما يعارض بعض من تقدّمه من مجيدي الشعراء ، في معنى من المعاني اللطيفة ينظم بيتين، يجيـد فيهما، ثم ينظم ـ أيضا ـ في ذلك المعنى بعينـه، بيتين

---

(١) علي بن الحسين بن علي، عز الدين الموصلي (ت ٧٨٩ هـ) شاعر، أديب، ناقد، له ديوان شعر، ونظم بديعية، وشرحها، وله قصيدة على وزن بانت سعاد.
انظر: الأعلام ٤ / ٢٨٠، ومعجم المؤلفين ٧ / ٧٥..

(٢) أبو البقاء، محمد بن إبراهيم بن محمد، الأنصاري (٧٤٨ ـ ٨٣٠ هـ) أديب، شاعر له ديوان، وألّف كتابًا في طبقات الشعراء. انظر: الأعلام ٥ / ٣٠٠، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢١٥.

(٣) أبو العباس، أحمد بن يحيى بن أبى بكر، شهاب الدين التلمساني (٧٢٥ ـ ٧٧٦ هـ) شاعر، أديب، له أكثر من ثمانين مصنفا. انظر: الأعلام ١ / ٢٦٨، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠١.

(٤) أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، عماد الدين (٧٠١ ـ ٧٧٤ هـ) حافظ، مفسِّر، فقيه، له مؤلفات كثيرة أشهرها البداية والنهاية. انظر: الأعلام ١ / ٣٢٠، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٨٣.

(٥) محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي (١٢٢٦ ـ ١٣١٣ هـ) مؤرخ، أديب، صاحب روضات الجنات. انظر: الأعلام ٦ / ٤٩، ومعجم المؤلفين ٩ / ٨٧.

(٦) البداية والنهاية ١٤ / ٣٠٢.

آخرين، ثم بيتين، ثم بيتين، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى، إلى أنْ يملّه النظر، وتسأمه النفس، ويمجّه السمع، فلو ترك ذلك، وتحرّى القصد في قريضه لكان من الشعراء المجيدين؛ لقوّة شعره، وحسن اختراعه "[1].

❁ قال ابن معصوم: "كم له من نثر وشعر هما من سحر البيان، أو بيان السحر"[2].

❁ قال الخَوَانْسَاري: "لهذا كان شعره في غاية الجودة، والجمال، وقوّة تمييزه من أرفع قوى شعراء الأصقاع "[3].

الخصائص الفنية في شعر الصفدي

الصفـدي من كبار شعراء عصره المجيدين، ومن أغزرهم شعرا، ومن أكثرهم أغراضا؛ ولم يكن إعجاب الصفدي بنفسه، وبشعره هما ـ وحدهما ـ سبب وقوعه في النظم الركيك، بل يضاف إلى ذلك كثير من قيود الصنعة ألزم بها نفسه، وحاول ـ بالرغم من ثقل قيوده ـ النهـوض، والسموّ، وسعى إلى مجاراة الفحول المطبوعين، فمن تلك القيود:

١ ـ لزوم ما لا يلزم، وإنَّه ليباهي به، ويقول: " وغالب ما أُنْشِئُه أنا إنَّما آتي به ملزوما "[4]، كقوله[5]:

جَـــدَّ الهَـــوَى بِالـــشَّجِيِّ المُعَنَّـــى ... وَأَنْـــتَ هَـــازٍ بِـــه ، وهَـــازِلْ
وَحَـــرْبُ عَيْنَيْـــكَ فِي سَـــطَاهَا ... تَعْلُـــو الثُّرَيَّـــا، فَمَـــنْ يُنَـــازِلْ ؟
فَـــاكْفُفْ سِـــهَامَ الجُفُـــونِ عَنِّـــي ... فَأَنْـــتَ غَـــازٍ لِمَـــنْ تُغَـــازِلْ

---

(١) المنهل الصافي ٥ / ٢٤٣.
(٢) أنوار الربيع ١ / ١٢٨.
(٣) روضات الجنات ٧١٧.
(٤) نصرة الثائر على المثل السائر ١٥٧.
(٥) صرف العين ١٢١ / ب مخطوط العمومية.

٢ ـ الجناس الملفّق، وهو الَّذي يكون كُلٌّ من ركنيه مركَّبًا من كلمتين فصاعدًا[١]، كقوله[٢]:

مَتَى تَصْنَعِ المَعْرُوفَ تَرْقَ إِلَى العُلاَ وَتَلْقَ سُعُودًا فِي ازْدِيَادِ سُعُودِ
وَإِنْ تَغْرِسِ الإِحْسَانَ تَجْنِ الثِّمَارَ مِنْ مَغَارِسِ عُودٍ، لاَ مَغَارِسِ عُودِ

وكان الصفدي يكثر من الجناس في شعره؛ حتى أتى فيه بالركيك السخيف، وأطلق فيه لسان خصومه، وقد نسبه ابن حجة إلى مذهب فنّي مخالف لمذهبه، قال[٣]: "ما أظرف ما وقع له ـ يعني: الصفدي ـ مع الشيخ جمال الدين ابن نباتة، وذلك أنَّه لمَّا وقف على كتابه المسمّى بـ "جنان الجناس"، وقد اشتمل على كثير من هذا النوع قرأه "جنان الجُنَاس"، وجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه، وهذا مما يؤيّد قولي: أنَّه غير مذهبي، ومذهب من نسجت على منواله".

وأكّد هذا القول، مع بيان السبب، فقال: "أمَّا الجناس، فإنّه غير مذهبي، ومذهب من نسجت على منواله، من أهل الأدب، وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ؛ فإنَّ كلا منهما يؤدي إلى العقادة، والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة، في مضمار المعاني المبتكرة"[٤].

ولم يكن مذهب الصفدي التجنيس ـ وإن أكثر منه ـ كما زعم ابن حجّة، بل كانت التورية أخص صفات مذهبه الفني كما اتّضح لي من أكثر شعره، وكما سأثبته، بعد.

٣ ـ التضمين، وهو من الظواهر الشائعة في عصره، وشُهِر به كثير من الشعراء، كقوله[٥]:

---

(١) أنوار الربيع ١ / ١٢٧.
(٢) الروض الباسم والعرف الناسم ١٨.
(٣) خزانة الأدب ١ / ٥٦.
(٤) خزانة الأدب ٢ / ٥٤.
(٥) صرف العين ٧٣ / أ، وفي البيتين تضمين لقول جميل أو المجنون:
وَمَاذَا عَسَى الوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا: إِنَّنِي لَكِ عَاشِقُ ؟

أيَا مَنْ سَبَانِي، كُفَّ جَفْنَكَ عَنِّي إنَّهُ غَدَا فِي صَمِيمِ القَلْبِ بِالسِّحْرِ يَنْفُثُ
وَدَعْنِي وَمَا قَالَ الوُشَاةُ، وَنَمَّقُوا "فَمَاذَا عَسَى الوَشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا ؟"

وقد يجمع فى شعره بين التضمين ولزوم ما لا يلزم، كقوله[1]:

يَا لاَئِمِي فِي سُكْرِ أَشْجَانِي وَلِي مِنْهَا غَبُوقٌ دَائِمٌ وَصَبُوحُ
نَظَرُ الحَبِيبِ إذَا طَلَبْتُ وِصَالَهُ وَهُوَ العَدُوُّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ

٤ ـ نظم المصطلحات العلمية، والتورية بأسماء الكتب، وأعلام الرجال وغير ذلك مما هو شائع بين شعراء عصره، كقوله[2]:

وَظَبْي مَعَانِيهِ بَيَانٌ، بَدِيعُهَا لَهُ حَارَ فِكْرِي إِذْ رَأى كُلَّ مُعْجِزِ
قَرَأْتُ مَقَامَاتِ الحَرِيرِيِّ كُلَّهَا بِعَارِضِهِ مَشْرُوحَةً لِلْمُطَرِّزِي

٥ ـ العكس: فقد عكس قول المتنبِّي[3]:

إذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَايَا فَأَيْسَرُ مَا تَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ

قال الصفدي:

دُخُولُ دِمَشْقَ تُكْسِبُنَا نُحُولاً كَأَنَّ لَهَا دُخُولاً فِي الْبَرَايَا
إذَا اعْتَادَ الْغَرِيبُ الْخَوْضَ فِيهَا فَأَيْسَرُ مَا تَمُرُّ بِهِ الْمَنَايَا

وهو ـ كما قال ابن كثير ـ شعر قويٌّ، وعكس جليٌّ لفظًا ومعنى[4].

٥ ـ وكانت رغبته الشديدة في الإكثار جعلته يرضى بالأشياء الرخيصة، ويأتي بما يعيب[5].

---

(١) صرف العين ٧٦ / أ، وفى البيتين تضمين لقول المتنبي، والبيت فى ديوانه ٦٢:
يُخْفِي العَدَاوَةَ، وهْيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ العَدُوِّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ

(٢) خزانة الأدب لابن حجة ٢ / ١٥٧. والمُطَرِّزي هو: أبو الفتوح، ناصر بن عبد السيّد، برهان الدين، الخوارزمي، الحنفي (٥٣٨ ـ ٦١٠ هـ) عالم، أديب، له شرح مشهور على مقامات الحريري. انظر: الأعلام ٧ / ٣٤٨، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٧١.

(٣) ديوانه ٢٥٣، ورواية الديوان " فأهون ما يمر...".

(٤) وجيز الكلام ١ / ١٣٠.

(٥) خزانة الأدب، لابن حجة ٢ / ١٦٦.

٦ ـ مناصبه الرسمية، وارتباطه بالأمراء، والملوك فرضت عليه أنْ يكتب في كل مناسبة، وينظم في كل وقت، ولو لم تحرِّكْه عاطفة قوية، أو يثيره إحساس صادق؛ ولذلك جاء كثير من شعره باردا، لا يعبِّر عن تجربة صادقة.

وإذا رجع الصفدي إلى حسّه الفني، ونفسه الصافية، وساير طبعه وفنّه وابتعد عن تلك القيود، ونظم على سجيّته أبدع، وبرع، وأجاد، بل ربّما تفوّق على كثير من شعراء عصره ، والدليل على ذلك أنَّ ابن حجَّة ـ وهو أشد أعدائه عليه، وأكثرهم شنآنا، وحسدًا له ـ أورد له إحدى وستين نتفة شعرية، في باب التورية وحده، ولم يملك إلاّ أنْ يشيد ببعضها، ويعجب بأكثرها[1]، من مثل قوله تعليقا على بيتي الصفدي:

أَقُولُ، وَحَرُّ الرَّمْلِ قَدْ زَادَ وَقْدُهُ وَمَا لِي إِلَى شَمِّ النَّسِيمِ سَبِيلُ
أَظُنُّ نَسِيمَ الجَوِّ قَدْ مَاتَ، وانْقَضَى فَعَهْدِي بِهِ فِي الشَّامِ وَهْوَ عَلِيلُ

قال ابن حجة[2]: "النسيم العليل تلاعبوا به كثيرا، ولكنَّ قول الصفدي "فَعَهْدِي بِهِ فِي الشَّامِ وَهْوَ عَلِيلُ " في غاية اللطف.

ومن كثرة ما رواه ابن حجّة، في باب التورية من شعر الصفدي يظهر لنا مذهبه الفني؛ فقد كان شديد الإعجاب بشعر شيخ الشيوخ، وطريقته، قال[3]: "لا أعرف، في شعراء الشام، من بعد الخمس مائة، وقبلها مَنْ نظم أحسن منه، ولا أجزل، ولا أفصح، ولا أصنع، ولا أسرى، ولا أكثر؛ فإنَّ له "لزوم ما لا يلزم" مجلَّدًا كبيرًا، وما رأيت له شيئا إلاَّ وعلقته لما فيه من النكت، والتوريات القاعدة، والقوافي المتمكّنة، والتركيب العذب، واللفظ الفسيح، والمعنى البليغ".

وكلام ابن حجّة عن الجناس، وثقله هو نفسه كلام الصفدي قال: "فإنَّ تكرار الحروف على اللسان بالثقل والخفّة أعقد، ويحتاج إلى إحضار الذهن؛ لئلا يقع

(١) خزانة الأدب ٢ / ١٥٥ ـ ١٦٦.
(٢) نفسه ٢ / ١٥٩.
(٣) انظر: الوافي بالوفيات ١٨ / ٥٤٧.

التحريف، وينطق بالأول كالثاني وعكسه، فإنْ قلت: هذا يرد على باب الجناس كله، وهو معدود من البديع، قلت: الجناس وإنْ كان من أنواع البديع لكن بعض صوره مستثقل "[1].

وكلام ابن حجّة هو نفسه كلام الصفدي في التورية " فهما يتّفقان على أنَّ التورية من أعلى فنون البديع، وأغلاها رتبة وأعظمها في الأذواق السليمة موقعا، ويتفقان على أنَّ الاستخدام أشرف من التورية وأقلّ ورودا في الكلام منها ، وقلّ من البلغاء من تكلّفه، وصحّ معه بشروطه؛ لصعوبة مسلكه وشدّة التباسه بالتورية؛ لأنّه يحتاج إلى لطف ذوق، وحدّة ذهن، وتوقّد فكر "[2].

ويتّضح من كلام ابن حجّة عن الجناس، وأنّه ليس مذهبه، ولا مذهب شيوخه من أهل الأدب، وإنّما هو مذهب الصفدي، يتضح أنّه مجرد مناسبة للنيل من الصفدي، والحط من قدره، دون دليل، ونحن عندما نقرأ شعره نجده لا يعير "الجناس" أهميّة كبيرة وأنّ ما جاء منه في شعره هو الجناس المركّب، أو الملفَّق ، ويبدو لي أنّ سبب إكثاره من هذا النوع كان رياضة عقلية، وتدريبا على مهارات النظم، وجّهه إليه شيخه أبو الثناء محمود؛ قال الصفدي[3]: " لمّا قرأت عليه قوله في كتاب "حسن التوسل":

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ نَشْرِ الرَّوْضِ لَمَّا تَلاقَيْنَا، وَبِنْتَ العَامِرِيِّ
جَرَى دَمْعِي، وَأَوْمَضَ بَرْقُ فِيهَا فَقَال الرَّوْضُ: فِي ذَا العَام رِيِّي

أخذت في الزّهزهة[4] لما في هذين البيتين من الجناس المركب، وبالغت في الثناء عليهما.

---

(١) الغيث المسجم ٢ / ٦٣.
(٢) راجع: مقدمة فض الختام ٩٩.
(٣) راجع: أعيان العصر ٥ / ٢٧٩ ـ ٢٨١.
(٤) زهزه: استحسن، أو صفّق بيديه إعجابا. انظر:
Dozy: Supp.dict. Arab. V.I, P.٦٠٩ .

فقال لي: خُذْ نفسك بنظم شيء في هذه المادة، فامتنعت، فقال: لا بدّ من ذلك، فغبت عنه يومي، وجئته في اليوم الثاني، وأنشدته لنفسي، في هذه المادة:

بِقَــوْلِ الــشَّافِعِيِّ اعْمَــلْ تُحَقِّــقْ مُنَــاكَ، فَــمَا تَــرَى كَالــشَّافِعِيِّ
فَكَــمْ فِي صَــحْبِهِ مِــنْ بَحْــرِ عِلْــمٍ وَمِــنْ حَــبْرٍ وِمِــنْ كَــشَّافِ عِــيِّ

فقال: حسن، وعَجَّبَ بهما الحاضرين. ثم قال: إلاّ أنّ قافيتي أنا رائيّة، فغبت عنه يومي، وأتيته في غد، وأنشدته لنفسي:

أَرَى فِي الْجُودَرِيَّـةِ ظَبْيَ إِنْسٍ فَيَا شَغَفِي بِـهِ مِنْ جُـودَرِيِّ
لِبَارِقِ فِيهِ سَحَّتْ سُحْبُ دَمْعِي فَقَالَ الرَّوْضُ: إِنَّ الْجُـودَ رِيِّي

وأنشد مقطوعة رائيّة أخرى غير مؤسسة؛ فطلب إليه أبو الثناء محمود بعد القافية الرائية أنْ ينظم في قافية مؤسسة، ثم ينظم في غرض الغزل، بدلا من المديح، وهكذا، وفي كلّ مرّة ينشده الصفدي ما طلب فيبدي إعجابه بما يسمع من نظمه، في الجناس المركّب ، فكتب مقاطيع كثيرة، فيه، جاء فيها بالغث أكثر من السمين، مما أطلق فيه لسان حاسديه، فقال فيه البدر البشتكي "إنَّ مَنْ ذلك مبلغه من النظم لجدير أنْ يقعد مع صغار المتأدبين"[1].

وتصـدّى ابن معصوم للبدر البشتكي يدافع عن الصفدي، ويلتمس له عذرا بأنّ الجناس الملفّق من أصعب أنواع الجناس مسلكا، ولا يلزم من ركاكة هذا المقدار من نظمه انحطاط مقدار الناظم[2].

نحن وإنْ كنا لا نقبل بعذر ابن معصوم؛ لأنّ التكلّف مذموم في حدّ ذاته، والنظم الركيك لا عذر لناظمه؛ فما أرغمه أحد عليه، لكنّ الرأي المقبول ـ كما سبق القول ـ أنّ هذا النوع من النظم كان رياضة ذهنية، وتدريبا تعليميا، وليس تعبيرا شعريا عن معنى أراده الشاعر.

---

(١) خزانة الأدب ١ / ٥٦.
(٢) أنوار الربيع ١ / ١٢٨.

أغراض شعره

حاول النقاد إحصاء المعاني والأغراض التي يتناولها الشعراء في شعرهم[1] ومما لا شكّ فيه أنّ شعراء العصر المملوكي قد نظموا فيما نظم فيه الشعراء السابقون، وابتكروا أغراضا لم تكن معروفة، من قبل، وفي تقسيم الصفدي شعره إلى مجموعة من الأغراض جعلها ٤٦ موضوعا، في كتابه " الروض الباسم والعرف الناسم" ونظم في أغراض أخرى جعل لها عنوانا " في معان مختلفة "[2].

وبالرغم من أنَّ الصفدي كان مرددا أقوال السابقين، متتبعا معانيهم، مقيّدا بأسلوبهم، في أغلب الأوقات؛ مما جعل ابن حجة يتهمه بالسرقة، ويروي كتابا سمَّاه " خبز الشعير"، ونسبه لابن نباتة، وأورد فيه نماذج من سرقاته[3]؛ فالّذي لا شك فيه أنَّه شاعر مطبوع، له الكثير من الأشعار الفائقة، في كل الأغراض، وسأكتفي بذكر بعض النماذج من شعره، تظهر شاعريته، وموهبته:

أولا: المدح، وهو أنواع، منها:

المدح النبوي: وهو من أكثر الأغراض الشعرية شيوعا في ذلك العصر، بل إنَّ من الشعراء من أفرد له ديوانا خاصا، وللصفدي في مدح رسول الله ﷺ شعر كثير، منه قصيدة يعارض بها "البردة"[4]، ونلاحظ في شعره أمرين:

الأول: ظهور أثر ثقافته الواسعة، في دراسة السيرة النبوية، والحديث الشريف، من مثل قوله:

كُلٌّ يَجِيءُ، وَآثَارُ الوُضُوءِ لَهُ ... فِي حَشْرِهِ غُرَّةٌ زَانَتْ، وَتَحْجِيلُ
أَعْمَالُهُمْ تُشْبِهُ التِّيجَانَ فَوْقَهُمُ ... لَهَا الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعِلْمُ إِكْلِيلُ

(١) جعلها بعضهم عشرة، بناء على تبويب أبي تمّام في الحماسة، وجعلها بعضهم ثمانية عشر بناء على تقسيم ابن أبي الإصبع. راجع: آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي ١٠١ ـ ١٠٢.
(٢) راجع فهارس الروض الباسم ٢٩٣ ـ ٣٢٥.
(٣) أثبت زيف هذا الادِّعاء بالأدلة القاطعة، راجع كتابي"الصفدي وآثاره في النقد والأدب " ٣٩١.
(٤) الوافي بالوفيات ١ / ٩٤.

والآخر: خلو تعبيره من جميع صور المحسنات، والصنعة، واكتفاؤه بالتعبير السلس الواضح، مع ظهور لمحة فنيّة في تعبيره الشعري الراقي، من مثل قوله:

وَقَـــامَ فِي اللهِ أَقْـــوَامٌ إِذَا ذُكِـــرُوا يَـــوْمَ الْـــوَغَى فَهُـــمُ الغُـــرُّ الْبَهَالِيـــلُ
وَافَـــوْا يُلَبُّونَـــهُ طَوْعًـــا، فَقَـــابَلَهُمْ مَـــعَ الْهُـــدَى مِنْـــهُ تَرْحِيـــبٌ، وَتَأْهِيـــلُ

ثانيا: الرِّثَاء[1]: وهو من الأغراض القديمة، بل لعلّه أقدم أغراض الشعر كلها، وهو أكثر أغراض الشعر صدق عاطفة، وحرارة إحساس؛ لأنّه في الغالب يظهر عجز الإنسان أمام غلبة الموت، ويعبّر عن لوعـة الألم أمام مصيبة الفقد، وشدّة الحزن لفراق الأحباب، وتنوّعت موضوعاته، بحسب الأحوال، والظروف، فمن رثاء العظماء، إلى رثاء الأهل، والأصحاب، إلى رثاء الدول والممالك، وكان للصفدي دووين كاملـة في الرثاء، ومما قاله في رثاء أخيه إبراهيم في سنة ٧٤٢ هـ[2]:

إِذَا لَمْ يَـذُبْ إِنْـسَانُ عَيْنِـي، وَأَجْفَـانِي عَلَيْـكَ فَـمَا أَقْـسَى فُـؤَادِي، وَأَجْفَـانِي
رَحَلْـتَ بِرَغْمِـي يَـا أَخِـي، وَتَرَكْتَنِـي وَحِيـدًا أُقَـاسِي فِيـكَ أَحْـزَابَ أَحْـزَانِي
وَحَـلَّ بِـكَ الأَمْـرُ الَّـذِي جَـلَّ خَطْبُـهُ لَقَـــدْ بَـــلَّ أَرْدَانِي بِـــدَمْعِي، وَأَرْدَانِي

وإنّك لتحس بهذا الحزن العميق الذي يفتّت الأكباد، ويقطّع القلوب، وإنّك لتحس بأنّ الجناس في هذه الأبيات وَظَّفَ الكلمات لإثراء المعاني في تصوير الأسى الذي يُفْقِدُ المرء اتّزانه؛ ويفقده الإحساس بتمايز الأشياء، فقد تساوى لديه الموت والحياة، والتقت الأحزاب والأحزان، وتعاونت الأردان والأرداء.

ورثاؤه للمدن التي خَرّبها الطاعون وانتشار الأوبئة، وخيّم عليها الخراب ناطق بحرقة الفقد، ولسع النار التي ألهبها الدّمار، وإنّك لتسمع في شعره أنين الثكالى،

---

(١) من الطرائف أنّ مؤرخي العرب يروون أبياتا رثى فيها سيدنا آدم عليه السلام ابنه هابيل، لَمَّا قتله أخوه قابيل ويروون الخبر عن الإمام علي رضي الله عنه، ومِمَّا لا شكّ فيه أنَّه من وضع القُصَّاص، والوعّاظ. راجع: الكامل في التاريخ ١ / ٢٧.

(٢) راجع: الوافي بالوفيات ٥ / ٣٣٢ ـ ٣٣٧..

وبكاءهن ينبعثان في كل بيت، ودار، وانظر كيف واجه الشاعر الذي اعتاد الصبر وتحمل الشدائد هذا المصاب الفادح بعتاب يائس، وسؤال مكلوم[1]:

لِمَ افْتَرَسْتَ صِحَابِي يَا عَامَ تِسْعَ ارْبَعِينَا ؟
مَا كُنْتَ، وَاللهِ تِسْعًا بَلْ كُنْتَ سَبْعًا يَقِينَا

ثالثا: الهجاء: لم أجد له شعرًا في الهجاء؛ ولا يُتَوَقَّعُ منه هجاء، فكيف يكون هجّاءًا من وصف بأنه "كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم؟"[2] وكيف يكون سبَّابًا لعّانًا من كان عفّ اللسان،لم يتعرّض، قط لأعراض الناس، ولم يجرّح شخصا، ولو كان يستحق التجريح، وقد انتهج الصفدي طريقا اختصّ بها، وسلك دربًا لم يسلكه غيره من الشعراء، فإذا حَزَبَه أمر، وادْلَهَمّ عليه خَطْب لجأ إلى الصبر، واستبدل بالهجاء "صورة مصير الظالم" يعرضها دون تَشَفٍّ، أو إظهار للفرح بما أصابه؛ وإنّما يقدّمها عظة لمن يريد أنْ يتَّعظ؛ وكان هذا النهج دأبه مع الملوك، والأمراء، لا يهجو، ولا يسب، وإنّما يسوق نهايته بما يوحي بانتقام الله ﷻ من كل ظالم، وأنَّ عاقبة البغي وخيمة.

وأمَّا إذا كان الأذى يأتيه من الأهل والأصحاب اكتفى بذم الزمان والإخوان، دون فحش، أو تعريض، يقول[3]:

إنِّي لأَعْجَبُ مِنْ دَهْرٍ مُنِيتُ بِهِ عَلَيَّ أَحْشَاؤُهُ بِالْحِقْدِ تَضْطَرِمُ
مُقَطِّبٍ وَجْهَهُ إلاَّ إذَا طَلَبَتْ نَفْسِي صَدِيقَ وَفَاءٍ ظَلَّ يَبْتَسِمُ

وعِنْدَما يضيق به الأمر، يصيح[4]:

---

(١) ديوان مراسلات الصفدى " مخطوط دار الكتب المصرية " ٤٣.
(٢) أعيان العصر ١ / ٤٦١ ـ ٤٦٢.
(٣) الروض الباسم ٥٩.
(٤) الروض الباسم ٢٤.
السّرابخ: الأرض الواسعة، البعيدة، أو هي المِضَلَّة التي لا يهتدي فيها السالك إلى طريق.
انظر: اللسان " سربخ " ٣ / ٢٤. والصَّوارخ: لعلّه يريد سفن النجّدة والإغاثة.

أَيَـا مَـنْ يُنَـادِي فِي الـشَّدَائِدِ صَـاحِبًا أَ تَطْلُـبُ رِيًّـا مِـنْ سَرَابِ الـسَّرَابِخ ؟
فَـدَيْتُكَ ، هَـلْ عِنْـدَ الأَصَـمِّ إجَابَـةٌ وَلَوْ كُنْتَ تَرْقَى فِي صَوَارِي الصَّوَارِخ ؟

وكراهيته للهجاء نابع من تصوّره لوظيفة الشعر في حياة الأديب، وهو ما صوّره بقوله[1]:

لا تُـبْرِزِ الـنَّظْمَ فِي هَجْـوٍ فَـإنَّ لَِـنْ أَبْـدَى مَعَانِيـهِ فِي الأَوْزَانِ أَوْزَارَا
وَصِفْ زَمَانَ الصِّبَا إنْ كُنْتَ نِلْـتَ بِـهِ مَـعَ الأَحِبّـةِ فِي الأَوطَـانِ أوْطَـارَا

فالشعر، عنده ليس وسيلة لسب الناس، والتشهير بهم، فلم يسلم من المعاصي إنسان، والشاعر إنسان له عيوبه، وأوزاره وحقيق به أنْ يعذر الناس إنْ أَخْطَئُوا، وأنْ يجعل شعره وفنّه لتصوير العواطف النبيلة ، ومشاعر الانتماء إلى الجماعة، والأنس بهم، والسعادة في التعاون معهم على تحقيق الآمال.

وكثيرا ما كان يفضّل الوحدة على مخالطة الناس[2]:

وَجَـدْتُ فِي عِـشْرَةِ صَـحْبِي أَذًى لَّمَّـا لَزِمْـتُ الْبَيْـتَ، فِي الْوَقْـتِ زَالْ
يَـا عَجَبًـا مِـنْ أَشْعِـرِيٍّ غَـدَا يَحْمَـدُ رَأْىَ النَّـاسِ فِي الإعْتِـزَالْ

رابعا: الغَزَل: قسّم الصفدي غزله أقساما كثيرة منها: العفّة والتقى، والمحبّة، والتشوُّق ودوام العهد، والسهر وزيارة الخيال والحبيب، وفي الدموع، وفي بكاء الحبيب، وفي العذال والوشاة، وفي العتاب، وفي الاعتذار، وفي السلوان، وفي الملاحة، وفي الجواري، وفي الغلمان، وفي العناق والتقبيل...

ومما قاله في الملاحة[3]:

يَقُـولُ لِي: شَـبَّهْتَ غُـصْنَ النَّقَـا بِقَـامَتِي. وَهْـوَ لَهَـا سَاجِـدُ
وَقُلْـتَ: وَجْهِـي مِثْـلُ بَـدْرِ الـدُّجَا فِي تِمِّـه. وَهْـوَ لَـهُ حَاسِـدُ

(١) الروض الباسم ٢٤٣.
(٢) الروض الباسم ٢٠.
(٣) الروض الباسم ٨٩.

بِـــالظَّبْي. وَهْـــوَ النَّـــافِرُ الـــشَّارِدُ وَمَـــا كَفَـــى أَنَّـــكَ شَبَّهْـــتَنِي
وَاللهِ ، هَـــذَا طَمَـــعٌ زَائِـــدُ حَتَّـــى تَقُـــولَ: الـــشَّعْرُ مِثْـــلُ الـــدُّجَا

خامسا: الوصف: شارك الصفـدي شعراء عصـره في نظم كثير من الأوصاف البشرية، والحيوانية، والطبيعية، وقسّم وصفه أقساما كثيرة، منها وصف: الوجـوه، والعيون، والخال، والثغر، وهيَف القوام، والشَّعَر، والعذار، ومجالس الأنس والسقاة والندامى، والخيل، والليل والقمر والنجوم، والرياض، والماء، والمنازل والطرقات.

فمما قاله فى العيون[1]:

الـــسَّيْفُ قَـــالَ لِطَرْفِـــهِ التُّـــ ـــــرْكِيِّ: لا كَـــانَ الْمُهَنَّـــدْ
وَرِيقُـــهِ اعْتَـــرَفَ الطِّـــلا وَالـــشُّهْدُ قَـــالَ: كَـــذَاكَ أَشْهَـــدْ
وَأَنَـــا الفَقِـــيرُ لِوَصْلِـــهِ وَحُـــسَامُ مُقْلَتِـــهِ مُجَـــرَّدْ

وفي البيتين الآتيين، تبدو شاعريّة الصفدي نقيّة مبدعة، مع خفاء الصنعة في التورية الرائعـة، قال[2]:

يَـــا قَلْـــبُ، إنْ زَادَ الظَّـــمَا فَاقْـــصِدْ مَرَاشِـــفَهُ الـــشَّهِيَّهْ
إنِّي لأَعْـــرِفُ مَنْهَـــلاً يَـــشْفِي الجَـــوَى عِنْـــدَ الثَّنِيَّـــهْ

سادسا: الفخر والحماسة ومكارم الأخلاق: أكثر الصفدي من الأمر بالجود، والحزم وعلو الهمّة، ومكارم الأخلاق، والحكم والأمثال.

فمما قاله في الحزم وعلوِّ الهمَّة[3]:

إنْ أَنَـــا لَمْ أَجِـــدَّ فِي كَـــسْبِ مَـــالٍ لاقْتِنَـــاءِ العُـــلا فَكَيْـــفَ أَجُـــودُ ؟

(١) الروض الباسم ١١٨.
(٢) الروض الباسم ١٣٠.
(٣) الروض الباسم ٣٠.

وَإِذَا لَمْ أَسُـــدَّ خَلَّـــةَ خِـــلٍّ هَـاتِ قُـلْ لِي بِـاللهِ كَيْـفَ أَسُـودُ ؟

سابعا: أغراض مختلفة: جارى الصفدي شعراء عصره في النظم في أغراضهم المختلفة كالألغاز والأحاجي، والمكاتبات، والشِّعْر، والمجون من ذلك قوله[1] ملغزا في قُرْط:

أَرَأَيْـــتَ نَجْـــمًا، قَـــطُّ فِي غَـــيْرِ الـــسَّمَا يَحْوِيـــهِ قُطْـــرُ ؟
وَهُـــوَ النَّبَـــاتُ لَـــدَى الـــوَرَى وَإِذَا قَلَبْـــتَ الـــبَعْضَ قَطْـــرُ

نظم الصفدي في كل الفنون المستحدثة، وله الموشحات الرائعة.

فمن قوله في فنّ الزجل[2]:

يَـــا فُـــؤَادِي لا تَحَـــوّل عَـــنْ هَـــوَى ذَا الظَّبْـــي الأَحْـــوَرْ
إِيَّـــاكَ أَنْ يُطْغِـــيكَ لائِـــمْ قَـــالَ : كِنَّـــكْ بُـــو تُعْـــذُرْ
مـــا تَـــرَى كَافُـــورْ خَـــدُّو وَعَلَيْـــهِ الْخَـــالْ عَنْـــبَرْ ؟
لاَ تَخَـــفْ صَـــوْلِةْ عِـــذَارُو دَعْ يِجِـــي ، وَيِرْكَـــبْ أَبْلَـــقْ

وأمّا الموشحات فقد اشتمل كتابه " توشيع التوشيح " على ٢٨ موشّحة له، عارض في بعضها كبار الوشّاحين، وابتكر بعضها الآخر، وعن أسلوبه، وفنّه في الموشحات لاحظ ألبير حبيب[3] ـ محقق الكتاب ـ أنّ معارضات الصفدي أقل جودة من الموشحات التي يبتكرها هو؛ فإنّ تقيده بوزن الموشح الذي يعارضه، وبروحه، وبألفاظه ـ أحيانا ـ جعله يقع تحت تأثير الناظم الأول ولكن إذا نظرنا إليها منفصلة نجدها عملا متقنا، يقِلّ بهاؤها، ورواؤها إذا قورنت بالموشح الأصلي، ومع ذلك فإنّه استطاع، في بعض الأحيان أنْ يتفوّق على الأصل، فمعارضته لابن زهر[4] في موشّحه الّذي أوّله:

---

(١) الروض الباسم ٢١٤.
(٢) الغيث المسجّم ١ / ٣١٦.
(٣) مقدمة توشيع التوشيح ١٠ ـ ١١.
(٤) أبو بكر، محمد بن عبد الملك بن زهر، الإيادي (٥٠٧ ـ ٥٩٥ هـ) طبيب، وشَاح من أهل الأندلس. انظر: الأعلام ٦ / ٢٥٠، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٥٧.

قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ غَيْرُ صَاحِ صَاحِ
وَإِنْ لَحَانِي عَلَى المِلاحِ لاَحِ

ومعارضة الصفدي لها أوَلها:

يَا فَاضِحَ الْبَدْرِ فِي الكَمَالِ مَالِي
أَرَاكَ لَمَّا تَرَى انْتِحَالِي حَالِي

ومنها:

سَاقٍ مِنَ التُّرْكِ مَا سَقَانِي قَانِي
طَرْفِي إِذَا طَافَ بِالْمُدَامِ دَامِي
وَطَرْفُهُ بَالِغُ الْمَرَامِ رَامِي
وَهْوَ عَلَى مَضْرِبِ الْحُسَامِ سَامِي

وتفوّق الصفدي على ابن زهر في هذا الموشّح خاصة راجع إلى خبرته الطويلة في التجنيس.

وأمَّا الموشحات التي نظمها ابتكارا فتمثّل شاعريّة مبدعة، "ويبدو عمله متقنًا، أنيقا، يمتاز بالبساطة والذوق السليم[1]:

شَبِّهُوا الْمَحْبُوبَ بِالْقَمَرِ
وَبِرَوْضٍ يَانِعِ الزَّهَرِ
وَبِغُصْنٍ نَاعِمٍ نَضَرِ
وَ بِظَبْيِ سَاحِرِ الْحَدَقِ وَهْوَ عِنْدِي فَوْقَ مَا وَصَفُوا

شاع في العصور الوسطى أنواع من الشعر تعتمد على وسائل زخرفية، وأشكال هندسية، أو مشجّرة، واستعمله الشعراء في التأريخ؛ لإظهار براعتهم في استعمال كلمات فيها حروف خاصة تتكرر في كل كلمة، أو الكلمات التي تشتمل على حروف

(١) مقدمة توشيع التوشيح ١١ ـ ١٢.

معجمـة، أو خالية من الإعجام، أو تتبادل فيها الحروف الإعجام والتجرد منها، وغير ذلك من الألاعيب الشعرية التي أصبحت في ذلك العصر من مقاييس براعة الشاعر وحسن تصرّفه[١]، وكان للصفدي إسهام في هذا النوع من الشعر[٢].

فرض شعر الصفدي نفسه على نقّاد عصره، ورواة الأدب فيما بعد، فأكثر كتب ابن حجّة يقوم على اختيارات الصفدي، وشعره، وبخاصّـة في كتابيـه: خزانة الأدب، وكشف اللثام.

وقد وردت أشعار الصفدي، في أكثر كتب الأدب، والمجاميع الشعرية التي صدرت بعد زمنه؛ فمن أمثلة ذلك:

۞ اسْتَشْهَد به النواجي[٣] كثيرًا في " حَلْبة الكميت ".

۞ وفي معاهد التنصيص، لعبد الرحيم العبّاسي كثير من شعره "[٤].

۞ كما توجد اختيارات من شعر الصفدي في كتاب: " بستان العارفين ونزهة الناظرين"، لأحمد بن حسن الشافعي (القرن الحادي عشر الهجري)[٥].

عنوان الكتاب

إذا كانت صفحات الكتاب لم تسلـم من عبث الناسخـين، وتصحيف المصحّفين فإنَّ العنوان نفسه لم ينج من الاضطراب والخلط، فقد ورد باسم "لذة السمع في انسكاب الدمع"[٦].

وباسم "لذة السمع في وصف الدمع"[٧].

---

(١) راجع: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ١٦٧ ـ ٢٢٥.

(٢) راجع: أعيان العصر ٣ / ٨٠ ـ ٨١.

(٣) محمد بن حسن بن علي، شمس الدين (٧٨٨ ـ ٨٥٩ هـ) أديب، ناقد، شاعر.
انظر: الأعلام ٦ / ٨٨، ومعجم المؤلفين ٩ / ٢٠٣.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ١٤ / ٢٢٤.

(٥) انظر: مجلة المجمع العلمي م ٢٠ / ٥٤، ومعجم المؤلفين ١ / ١٩٣.

(٦) نسخة السيد جلال المحدث، كما في ذيل كشف الظنون ٨٤.

(٧) المنهل الصافي ٢/ ٦٦ / أ، وكشف الظنون ٢ / ١٥٤٨، وهدية العارفين ١ / ٣٥٢.

وباسم " لذة السمع في صفات الدمع "[1].

وطبع باسم " تشنيف السمع بانسكاب الدمع ".

وعنوان الأصل المخطوط في دار الكتب المصرية "تشنيف السمع في انسكاب الدمع"[2]؛ والراجح أنّ هذه التسمية من وضع الناسخين، فقد أشار إليه الصفدي في مواضع كثيرة من كتبه باسم "لذة السمع في صفة الدمع"، وهو عنوان المخطوطة الأم التي اتخذتها أصلا للكتاب[3].

أصول الكتاب المخطوطة :

حظي الكتاب بأهمية كبيرة لأنَّه كتاب في الأدب، وهو دراسة لغوية أدبية عن الدمع في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف، وكتب اللغة، والطب، مع اختيارات شعرية عن الدمع، وتشبيهاته، وألوانه، وأسبابه.... في ٣٧ فصلا، وينتهي أكثر الفصول منها بمقطوعات شعرية للصفدي، وقد أشار بروكلمان إلى بعض مخطوطاته؛ فيوجد مخطوطا في : هافن ٢٩٧ بعنوان " تشنيف السمع في وصف الدمع "، وفي ميونخ ٥٩٧، وليبزج ٨٧٣ / ٦، وعاطف أفندي ٢٢٤٥، وفي دار الكتب المصرية نسختان ١٧٤٦، ٧٠٩٩ / أدب، وعن المخطوطة رقم ١٧٤٦ توجد مصورة في معهد المخطوطات العربية رقم ١٨٩ / أدب بعنوان " تشنيف السمع بانسكاب الدمع "، ونظرا لاتفاق هذه المخطوطات في العنوان فالراجح أنَّها ترجع جميعها إلى أصل واحد .

❁ ومنه نسخة في مكتبة جامعة برنستون رقم ٢٨٠، وعنوانها " لذة السمع في صفة الدمع ".

---

(١) انظر : الدر المنتخب [الترجمة ٥١٤]، والمنهل الصافي ٥ / ٢٤٣، وكشف الظنون ٢ / ١٥٤٨، وذيل كشف الظنون ٨٤، وإيضاح المكنون ١ / ٢٩١، وهدية العارفين ١ / ٣٥٢، وتاريخ الأدب العربي، لبروكلمان ق ٦ / ١١٨، ودائرة المعارف الإسلامية ١٤ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) إيضاح المكنون ١/ ٢٩١، وفهرس الخزانة التيمورية ٣ / ١٧٧.

(٣) الوافي بالوفيات ٢ / ١٢٥ و٣٦٤، وصرف العين ٥٢ / أ.

❁ منه نسخة بخط محمد بن يحيي اليماني ، كتبها في حياة المؤلف في ١١٢ ورقة توجد في خزانة إسماعيل صائب ، بتركيا، رقم ١٣٨٥ .

❁ منه اختيارات كتبها محمود محمد المصري، في قرية يبرود، في سنة ١٣٢١ هـ، وهي توجد في المكتبة الظاهريـة في دمشق، في ٣٥ ورقة، رقم ٦٩٦٠ .

❁ اختار منه، وأضاف إليه علي بن محمد البلاطونسي، منه نسخة في ليدن ٥١٩ .

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

الأصول التي اعتمدتها في التحقيق أربع مخطوطات، وثلاث مطبوعات، وهي :

المخطوطة الأولى : مخطوطة مكتبة جامعة برنستون رقم ٢٨٠، وهي التي اخترتها أنْ تكون " أمًّا "، أو أصلا للكتاب، وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ هي المخطوطة الوحيدة التي تحمل عنوانا مطابقا للعنوان الذي اختاره الصفدي لكتابه، وذكره في كتبه الأخرى.

٢ ـ يبدو أنَّها منقولة من نسخة المؤلف نفسه، أو من نسخة مكتوبة في حياته، وهذا واضح من الدعاء له بالبقاء، وبطول العمر؛ فقد جاءت صفحة الغلاف هكذا " كتاب لذة السمع في صفة الدمع، مما عُنِيَ بتأليفه إمام الأدباء، وإنسان عين البلغاء، فارس ميدان البراعة، وحامل راية ذوي اليراعة، مطلع شموس القريض وأقماره، ومستخرج دُرره من بحاره الذي ابتسمت ثغور تصانيفه عن شنب الإجادة، ووفدت قوافل قوافيه ببضائع الإفادة الشيخ العلامة صلاح الدين، أبو الصفاء، خليل بن أيبك الصفـدي، كاتب الإنشاء الشريف بالشام المحروس، **أبقى الله فوائدة، ولا حُذِفَ العز عن موصوله وعائده**".

٣ ـ هي نسخة كاملة، وخطها نسخي جيِّد مقروء، وليس فيها خروم إلاَّ ورقتان فقط، تشتملان على آخر الباب التاسع، والباب العاشر بأكمله، وأول الباب الحادي عشر، وفي الوقت نفسه خلت من التشويه إلاَّ من بعض نقاط قليلة من الحبر في بعض الصفحات.

وصف المخطوطة الأم :

لم يذكر كاتب هذه المخطوطة اسمه، وإنَّما قال في نهايتها :

" تم الكتاب، بعون الملك الوهاب، وكان الفراغ من نسخه، يوم الأحد المبارك، وهو الحادي والعشرين، شهر جمادى الثاني سنة ثمان وخمسين وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل السلام، وأتم التحيَّة، والحمد لله وحده ".

وعلى لوحة الغلاف أربعة أبيات من الشعر، وهي :

شَـهِدْنَا مِـنْ فُنُـونِ الـنَّظْمِ رَوْضًـا تَنَـوَّعُ فِيـهِ أَزْهَـارُ الْمَعَـانِي
دَعَـوْهُ لَـذَّة الـسَّمْعِ امْتِيَـازًا فَقُلْـتُ: وَلِلْقُلُـوبِ وَلِلْعِيَـانِ

ولكاتبهما بيتان :

أَدِرْ لِحَاظَـكَ فِي هَـذَا الْكِتَـابِ تَـرَى مِـنَ الْعَجَائِـبِ مَـا تَهْـوَى مِـنَ الْأَدَبِ
فَـاجْنَحْ إِلَيْـهِ بِـسَمْعٍ فَهْـوَ لَذَّتُـهُ وَقُلْ: هُـوَ الْجَـامِعُ الْمُغْنِي عَـنِ الْكُتُـبِ

وتحت هذه الأبيات جاءت العبارة التالية : " قالهما أفقر العباد إلى عفو الله الجواد مالك هذا الكتاب الحقير إسماعيل بن أبي بكير، رحمه الله وعفى عنه.... ويغفر الله له وللمسلمين أجمعين، سنة ١٠٥٩ ".

واضح أنَّ هذه العبارة كتبت بعد سنة من تمام نسخ الكتاب، ويبدو أنَّ إسماعيل بن أبي بكير هذا ليس هو ناسخ الكتاب بل هو مالكه بعد نسخه؛ لأنَّ الخط الذي كتبت به العبارة مخالف لخط الناسخ.

وعلى صفحة الغلاف أيضا تملكات، وقراءات، أكثرها مخفي بالحبر.

والمخطوطة في ٥١ ورقة [١٠٢ لوحة]، وأغلب لوحاتها تضم ما بين ٣١ إلى ٣٥ سطرًا، والقليل منها تقل أسطرها عن هذا العدد، فقد تصل إلى ١٧ سطرًا، وفي كل سطر منها نحو عشر كلمات في المتوسط، وخطها نسخي معتاد.

الخصائص الإملائية للناسخ :

لا تختلف طريقة الناسخ في الكتابة عن المشهور والمعتاد من كتَّاب عصره؛ فمن مميزات الكتابة في ذلك الوقت ما يلي :

١ ـ لا تُكتب الهمزة المتطرفة المفردة (كالسما، والوفا)، فإنْ كانت الهمزة المتطرفة ترسم على الألف كتبت همزة ممدودة، أي : همزة مفردة بعد الألف، فالفعل بدأ مثلا يكتب بداء.

٢ ـ لا تكتب الهمزة المتوسطة على الألف أو الواو، وأمَّا الهمزة المتوسطة على الياء فتكتب نقطتان تحت الياء.

٣ ـ في أغلب الأحيان تكتب الأفعال الناقصة، والأسماء المنقوصة، والمقصورة في آخر الكلمة دون التمييز بينها، كما لا يتضح الفرق بين ما آخره ألف منقلبة عن واو أو ياء؛ فمثلا الفعل شفى يكتب شفا...

المخطوطة الثانية: مخطوطة دار الكتب المصرية، وعنوانها "تشنيف السمع في انسكاب الدمع" للشيخ صلاح الدين بن خليل[1] بن أيبك الصفدي ـ رحمه الله تعالى والمسلمين أجمعين.

وهذه النسخة رقمها ٤٠٥١٨ / عمومية، و ١٧٤٦ / خصوصية، ومنها مصوَّرة في معهد المخطوطات العربية ميكروفيلم رقم ١٨٩/ أدب، وتاريخ نسخها ١٠٠٧ هـ، وعدد أوراقها ٨٩ تضم ١٧٦ لوحة، قياسها ١٢ × ١٨ سم، ومتوسط الأسطر في كل صفحة نحو ١٧ سطرًا، وفي كل سطر ما بين ثمان إلى عشر كلمات.

وهي مكتوبة بالمداد الأسود، بخط نسخي معتاد، وأمَّا العناوين الداخلية للأبواب، وأسماء الأعلام، والصفحة الأخيرة كلها كتبت بالمداد الأحمر، وبهذا المداد الأحمر نفسه رسم الناسخ إطارا يحيط بأسطر اللوحة من خطين متوازيين مرسومين بدقة فائقة، وعناية شديدة.

---

(١) كذا في الأصل، وهي زيادة من الناسخ.

ويبدو أنَّ الكتاب لم يكن مرقَّما في الأصل، وجاء بعد ذلك من رقمه، ورتب صفحاته معتمدا علي ما ذكره الناسخ، فقد اعتاد أنْ يكتب في نهاية اللوحة – خارج الإطار المرسوم – الكلمة التي تبدأ بها اللوحة المقابلة، والأرقام مكتوبة بمداد أحمر، ولكنه يختلف عن المداد المستعمل في أصل المخطوطة.

وعلى صفحة الغلاف عدَّة تمليكات، لم أستطع قراء الأسماء كاملة فقد قطعت أجزاء منها عند التغليف، وما أمكنني قراءته منها هو :

١ ـ في نوبة الفقير... أبي عبد الله إبراهيم أفندي ابن عبد الله، غفر الله لهما.

٢ ـ انتقلت في نوبة... المصرية الجليل... ابن عثمان... الشهير بالـ... في سنة ١٢٧١ هـ.

٣ ـ انتقلت في نوبة أفقر الخلق إلى الله السيِّد... سنة ١٢٨٢هـ.

المخطوطة الثالثة: مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٧٠٩٩/ أدب، جاء في آخرها: "وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب يوم السبت ٢٠ شهر القعدة ـ كذا !!! ـ سنة ١٣٤٨ هـ، بقلم حسين محمد الريس، على نفقة دار الكتب المصرية، نقلا عن النسخة الموجودة بالدار المحفوظة تحت نمرة ١٧٤٦ / أدب.

وهذه النسخة مطابقة للأصل في مسطرتها، وعدد صفحاتها، ويبدو أنَّ الناسخ السيِّد حسين محمد الريس أمِّي، لا حظَّ له من التعليم، وكل ميزاتـه جودة الخط، فالنسخة مكتوبة بخط النسخ الجميل، ولكن قارئها لن يظفر منها بسطر واحد يخلو من خطأ في الإملاء، أو تحريف في بعض الكلمات، وجرت عادة الناسخ على أنَّه إذا لم يستطع قراءة كلمة من الكلمات رسمها رسمًا مطابقًا للأصل، وغالبًا ما يلجأ إلى حذف الكلمة الَّتى لم تتضح له قراءتها، وأكثر ما يكون الحذف في الشعر، فقد يسقط أبياتًا بأكملها، وجعلت للمخطوطتان رمزًا واحدًا هو (ك).

المخطوطة الرابعة: مخطوطة المكتبة الظاهرية في دمشق، ورقمها ٦٩٦٠، وعنوانها "لذة السمع في وصف الدمع"، وعدد أوراقها ٣٥ ورقة، وتضم ٦٨ لوحة، في كل لوحة ٢٠ سطرًا، وفي السطر عشر كلمات في المتوسط، ومسطرتها ١٣.٥ × ٢٠.٥

سم، جاء في أولها: "قال الشيخ الإمام الأديب البليغ صلاح الدين الصفدي ـ تغمَّده الله برحمته ورضوانه ـ : الحمد لله الَّذي جعلني ممن سما بالعلم... ".

وجاء في آخرها: "قد تمَّ كتاب لذة السمع في وصف الدمع للمرحوم الشيخ صلاح الدين الصفدي ـ رحمه الله تعالى ـ على يد كاتبه محمود محمد المصري، في قرية يبرود[1]، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين، سنة ١٣٢١ هـ من الهجرة النبوية عليه السلام والتحيَّة.

والمخطوطة خطها نسخي جيِّد، خالية من الضبط، كما خلت من التصحيف والتحريف، وهي في مجملها قليلة الأخطاء، ولكن يعيبها أمران :

١ ـ فيها خروم متعددة في المقدمات.

٢ ـ النتيجة ليست كاملة، وإنَّما هي اختيارات من المقاطيع الشعرية.

ورمزت للمخطوطة بالرمز (ق).

بيان الأصول المطبوعة

الطبعة الأولى: في القاهرة، طبع مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر في سنة ١٣٢١ هـ، وهي طبعة كثيرة الأخطاء، وتبدأ أخطاؤها بالعنوان حيث جاء هكذا "كتاب تشنيف السمع تانسكاب الدمع"، وكثيرة السقط أيضًا، ونتج عن هذه الخروم نسبة أبيات لغير قائليها، كما أثبت ذلك في الحواشي.

ورمزت لهذه الطبعة بالرمز (ط).

الطبعة الثانية: في الإسكندرية، طبع دار الوفاء، بدون تاريخ، والراجح أنَّها منقولة عن نسخة كتبها محمد بن يحيى اليماني في حياة المؤلف، وهي محفوظة في خزانة إسماعيل صائب في تركيا، وعدد أوراقها ١١٢ ورقة، وهذا الترجيح لسببين :

الأول : العنوان "لذة السمع في صفة الدمع"[2] وهو العنوان ذاته الَّذي اختاره

(١) يبرود : اسم يطلق على أكثر من قرية كلها في بلاد الشام : الأولى بين حمص وبعلبك، والثانية والثالثة من قرى بيت المقدس. انظر : معجم البلدان ٥ / ٤٢٧، والمشترك وضعًا والمختلف صقعًا ٤٤٢.

(٢) انظر : نوادر المخطوطات في مكتبات تركيا، د / رمضان ششن، ٢ / ١٦٥.

الصفدي ـ كما بيَّنت ـ ولم يوجد إلاَّ في المخطوطة الأم في برينستون، ومخطوطة إسماعيل صائب، ولم يتيسَّر لي الحصول عليها.

والآخر: ما جاء في العنوان المطبوغ " لذة السمع في صفة الدمع، تصنيف الشيخ الإمام العلامة فريد دهره، ووحيد عصره، صلاح الدين أبي الصفاء بن عبد الله الصفدي كذا !!! ـ متَّعه الله ببقائه، من كتاب الفقير إلى الله تعالى... عفا الله عنهم.

وقد تكلَّمت في المقدمة عن هذه الطبعة وما فيها من مخالفة للأمانة العلمية، إلى جانب الأخطاء العلمية.

ورمزت لهذه الطبعة بالرمز (د).

الطبعة الثالثة: في دمشق، طبع الأوائل في سنة ٢٠٠٤ م، بتحقيق محمد عايش، وهي معتمدة علي مخطوطة المكتبة البديرية بالقدس الشريف، ومنها نسخة مصورة على الميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، رقمها ٧٠ ضمن مجموع رقمه ٦ وتقع في ١٠٣ ورقة، وأكمل المحقق النقص من الطبعة الأولى، وهي طبعة لا يمكن الاطمئنان إليها. وقد رمزت لهذه الطبعة بالرمز (ش).

عملي في تحقيق الكتاب :

أولاً: تحرير المتن، وتصحيحه، وضبط نصوصه، فأبيِّن فيه :

- اختلاف القراءات والفروق بين النسخ.
- إكمال النقص في المخطوطة الأم.
- الإشارة إلى الزوائد في المتون، وفي الحواشي في النسخ المساعدة.

ثانيًا: التعليقات، والشروح، وتتضمَّن :

- التعريف بالأعلام، وأحب أنْ أنبِّه إلى أنَّ الخطَّة الَّتي اتخذتها في ذكر مصادر ترجمة الأعلام هي أنَّني لم أذكر مصدرًا من مصادر الزركلي في الأعلام، ولا مصادر كحالة في معجم المؤلفين إلاَّ في حالة واحدة إذا كان المصدر فيهما مخطوطًا، وطبع بعد ذلك فأثبت بيانات المصدر المطبوع، وإذا لم أجد مصادر للمترجم في غير الكتابين

المذكورين اكتفيت بالإحالة عليهما، وللباحث الرجوع إلى مصادرهما. وأمَّا الأعلام الَّذين لم يرد لهم ذكر في الكتابين السابقين أو في واحد منهما فقد أثبت جميع المصادر الَّتي تيسَّرت لي، والَّتي ترجمت العلم المذكور.

- ✿ نسخت آيات القرآن الكريم بالخط العثماني، وبيَّنت سورها وأرقامها
- ✿ وثَّقت الأحاديث والأخبار بالرجوع إلى مصادرها.
- ✿ عرفْت بالبلدان والأماكن.
- ✿ شرحت المصطلحات، وفسرت المفردات.

رموز الأصول المعتمدة في التحقيق :

١ ـ مخطوطة برنستون، وهي المخطوطة الأم، وأثبتُّ في المتن أرقام لوحاتها بين قوسين معقوفين [ ]، عند بدْء اللوحة.

٢ ـ ك : مخطوطـة دار الكتب المصرية، الأصل، والنسخة المنقولة عنها، وترقيمهما واحد ورمزهما واحد.

٣ ـ ق : مخطوطة دمشق.

٤ ـ ش : مخطوطة القدس، نقلا عن طبعة محمد عايش.

٥ ـ د : مخطوطة تركيا، نقلا عن طبعة د / محمد على داود.

٦ ـ ط : طبعة مطبعة الموسوعات بالقاهرة.

ملاحظة هامَّة : من خلال مقارنة النصوص في المتن تبيَّن لي أنَّ مخطوطتي القاهرة منقولتان عن مخطوطة القدس، لا لاتفاقها في العنوان فقط، بل لاتفاقها أيضا في رواية جميع النصوص، وفي الساقط منها كذلك، بل وفي كثرة ما فيها من تصحيف أو تحريف.

والمثير للعجب أنَّ الأستاذ محمد عايش كلَّما وجـد اختلافًا بين المخطوطة الأصل والنسخة المطبوعة ـ وهي غير محققة، وغير موثَّقة ـ قدَّم المطبوع ثقة منه في صحتها، وأثبت الخلاف في الحاشية، وهو نقيض ما تفرضه الأصول في فن التحقيق العلمي.

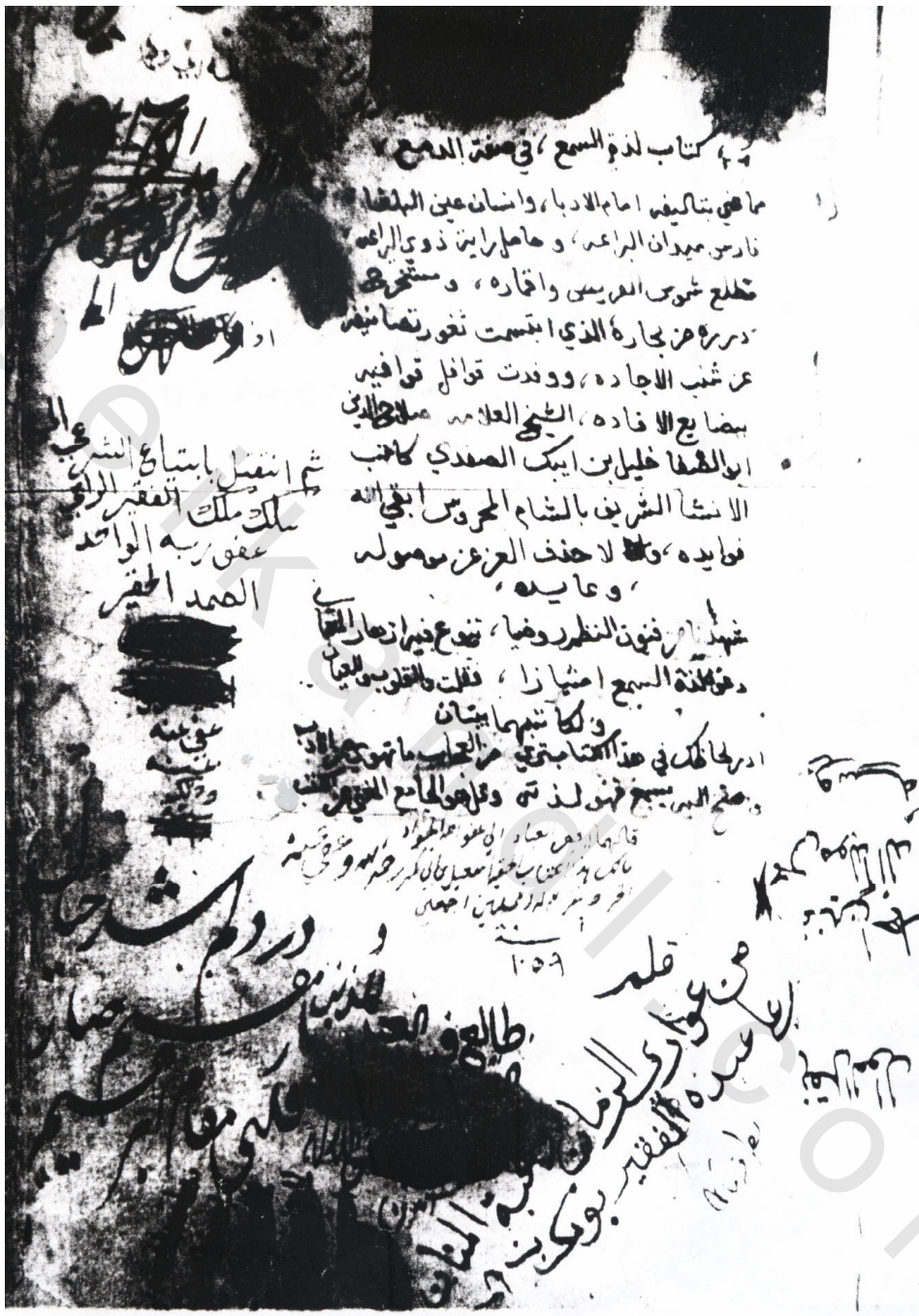

لوحة عنوان مخطوطة جامعة برنستون "الأم"

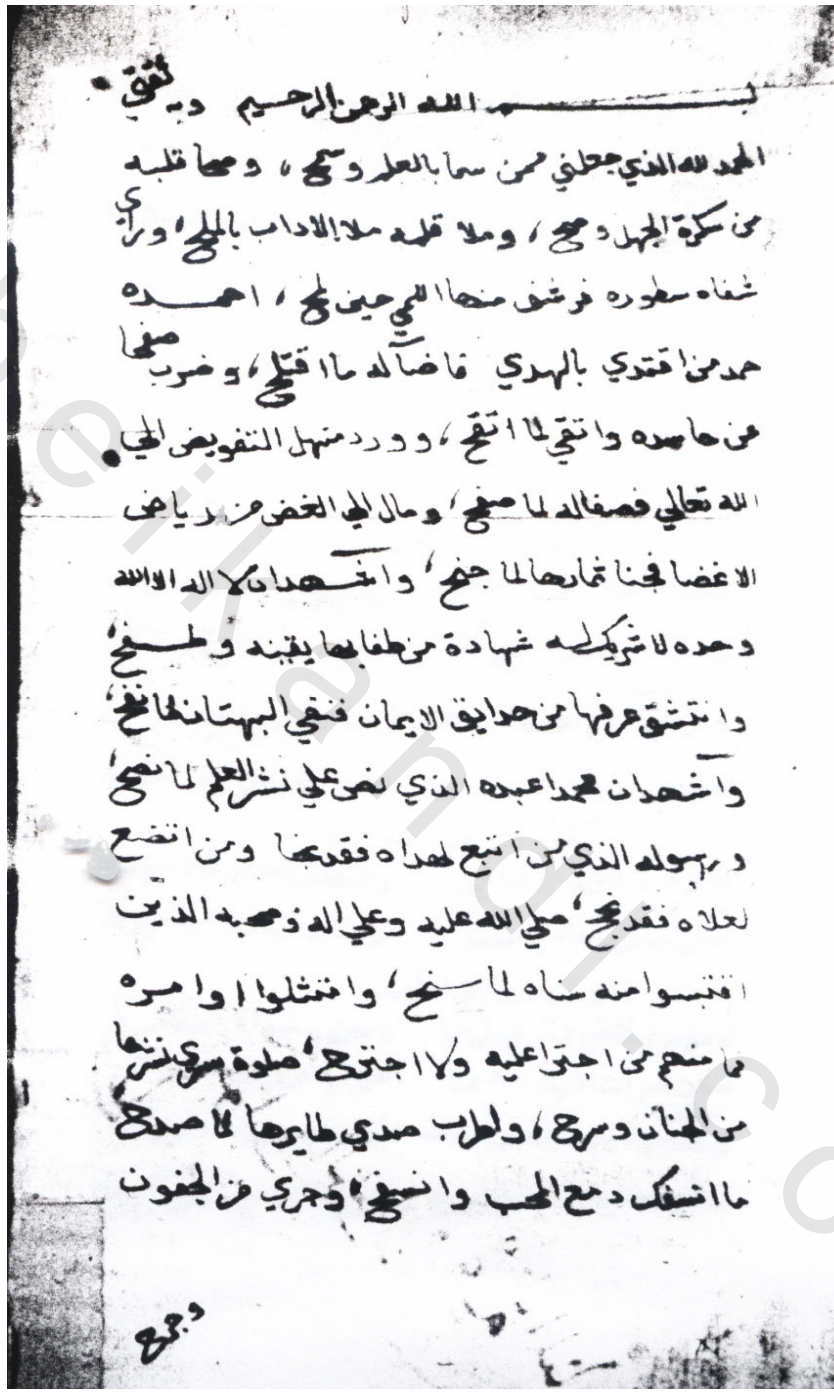

اللوحة الأولى من المخطوطة الأم

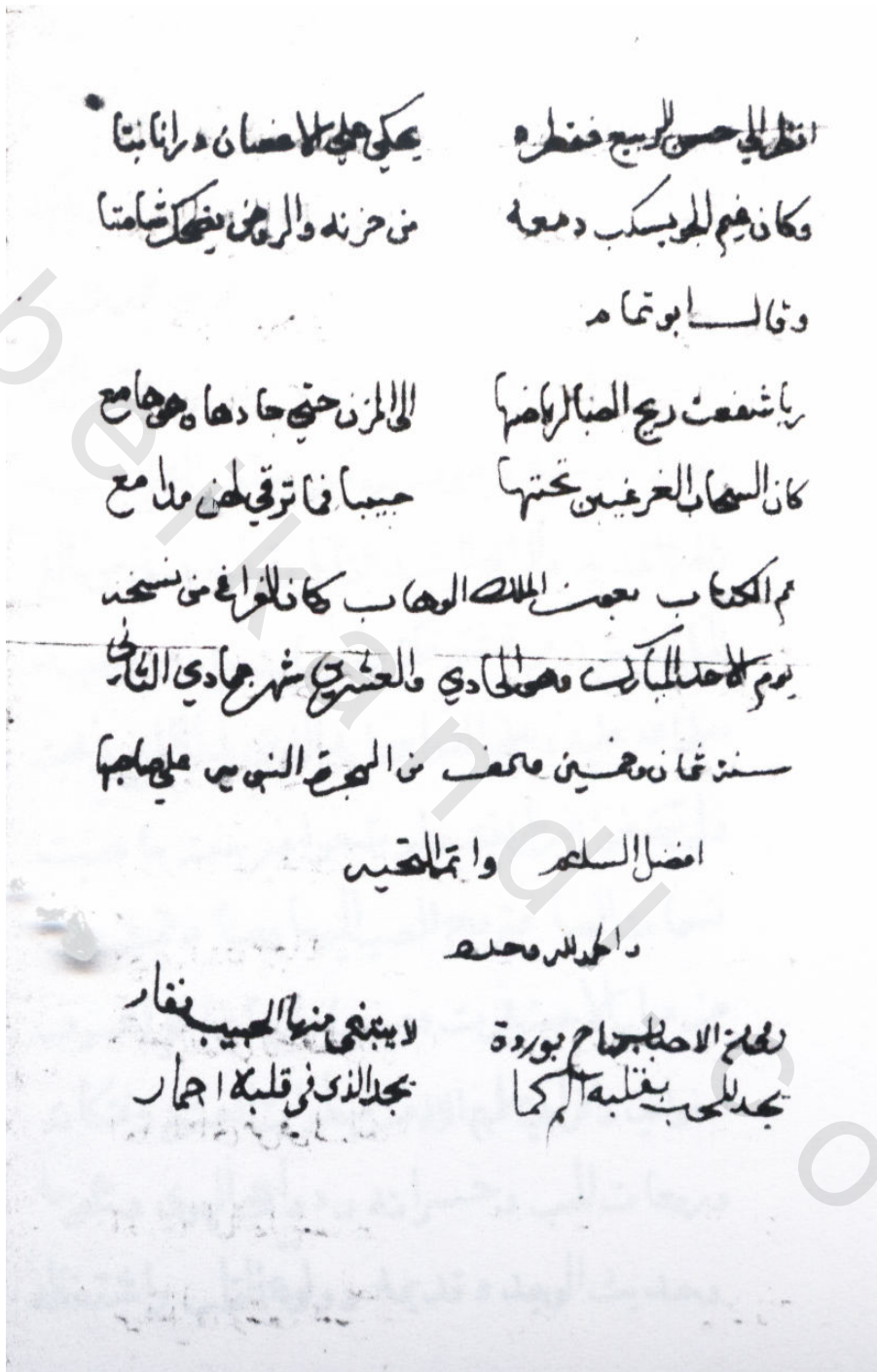

انظر الى حسن الربيع فنظره ... يحكي على الاغصان درا نابتا
وكان غيم الجو يسكب دمعه ... من حزنه والروض يضحك شامتا

وقال ابو تمام

يا شبعت ريح الصبا بالراضها ... الى المزن حتى حادها وهو هامع
كان السحاب الغر غيبن تحتها ... حبيبا فما ترقى لعين مدامع

تم الكتاب بعون الملك الوهاب كان الفراغ من نسخه
يوم الاحد المبارك وهو الحادي والعشرين شهر جمادي الثاني
سنة ثمان وخمسين وثمانمئة من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل السلام واتم التحية

والحمد لله وحده

لجاز الاحبة الجواح بوردة ... لا يبتغي منها الحبيب نفار
يجد للحب بقلبه الم كما ... يجد الذي في قلبه اجمار

اللوحة الأخيرة من المخطوطة الأم

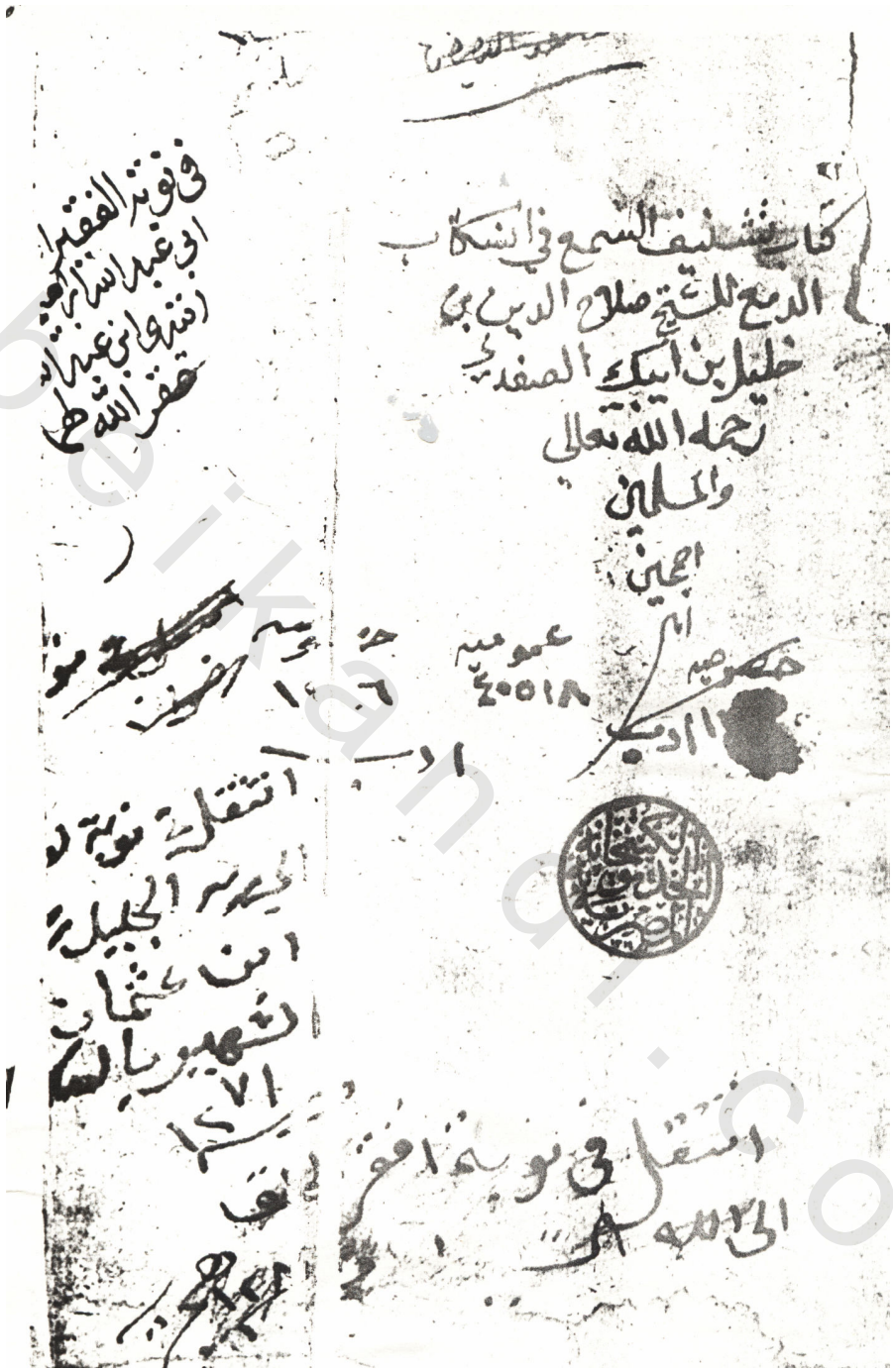

لوحة العنوان لمخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة

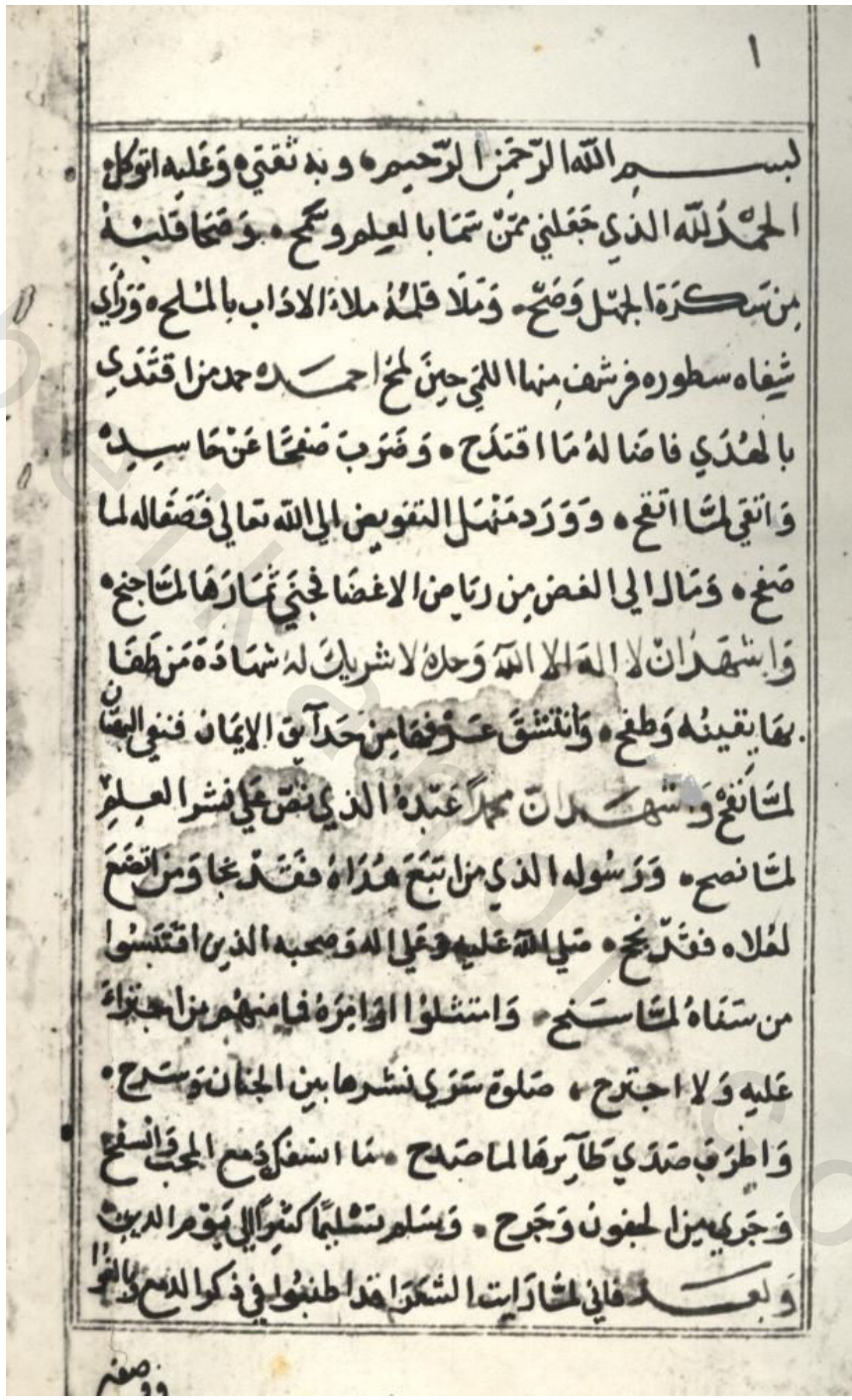

١

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثقتي وعليه اتوكل
الحمد لله الذي جعلني ممن سما بالعلم وسمح وصفا قلبه
من سكرة الجهل وضح وملا قلمه ملاءة الادب بالملح وزاي
شفاه سطوره فرشف منها اللذي حين لمح احمده حمد من اقتدى
بالهدي فاضا له ما اقتدح وضرب صفحا عن حاسده
واتقى لما اتقح ووردمنهل التفويض الى الله تعالى فصفاله لما
صفح ومال الى الغض من رنا من الاغضا فجنى ثمارها لما جنح
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من طفا
بها يقينه وطفح وانتشق عرفها من حدائق الايمان فنمى الهقن
لما نفح واشهد ان محمدا عبده الذي نص على فشر العلم
لما نصح ورسوله الذي من اتبع هداه فقد نجا ومن اتضع
لعلاه فقد نجح صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين اقتبسوا
من سناه لما استنح واستشلوا اوابره فامنهم من اجتراه
عليه ولا اجترح صلوة تسري نشرها بين الجنان وتسرح
واطرب صدي طايرها لما صدح ما انسفك دمع المحب وانسفح
وجرى من الجفون وجرح وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
وبعد فاني لما رايت الشكر احد اطنبوا في ذكر الدمع والقرح

وصف

اللوحة الأولى في مخطوطة دار الكتب المصرية

أنظر الى حسن الربيع فقطرة ∴ يحكي على الاغصان دُرانا بتا
وكانما غيم الجو سكب دمعه ∴ من حزنه والروض يضحك ثاما

وقال ابو تمام

ربا شفعت ريح الصبا لرياضها ∴ الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيب تحتها ∴ جنيبا فما تزداد الا مدامع

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد افقر العباد واحوجهم الى رحمة ربه الكريم الجواد علي بن محمد بن عيسى بن طه البحيري الازهري غفر الله له ولوالديه وللمؤلف هذا الكتاب وناظره ولمن قرأ فيه ودعا لهم بالمغفرة والرحمة ولكل المسلمين اجمعين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وذلك في رابع شهر ربيع الاول من شهور سنة سبع والف احسن الله ختامها بمحمد واله

اللوحة الأخيرة في مخطوطة دار الكتب المصرية

لوحة العنوان في مخطوطة المكتبة الظاهرية في دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام الأديب البليغ صلاح الدين الصفدي تغمده
الله برحمته ورضوانه الحمد لله الذي جعلني من سمايا العلم
وسمح وصحا قلبه من سكرة الجهل وصلح وصلا علمه سلك
الأدب بالملح وراى شفاه سطوره فرشف صفها اللمي حين لمح
احمده حمد من اقتدى بالهدى فاضاء له ما اقتدح وضرب
صفحا عن حاسده واتقى لما اتقح وورد منهل التفويض الى الله
تعالى فجنى ثمارها الما جنح واشهد ان لا اله الا الله شهادة من
طفا يقينه وطفح وانشق عرفها من حدائق الايمان فنقى الريحان
لما نفح واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي نص على نشر
العلوم لما نصح الذي من اتبع هداه فقد نجا ومن اتضع لعلاه
فقد نجح صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين اقتبسوا منه
السنا لما سنح واستلوا اوامره فما منهم من اجترأ عليه ولا اجترح
صلاة سرى نشرها من الجنان وسرح واطرب صداها طائرها
لما صدح من انسفك دم المحبين واسفح وجرى من الجفون وجرح
وسلم تسليما وبعد فاني لما رايت الشعراء قد اطنبوا في ذكر الدمع
والمغاني وصفه ضمن الرثاء والنسيب وتفننوا في اوصافه
وسلكوا في تشبيهه طرقا متشعبة واستعملوا فيه ضروبا مختلفة
فاول مراتبهم انهم ذكروه من غير مبالغة في امره كقول امرئ القيس
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل سقط اللوى بين الدخول فحومل

اللوحة الأولى في مخطوطة الظاهرية

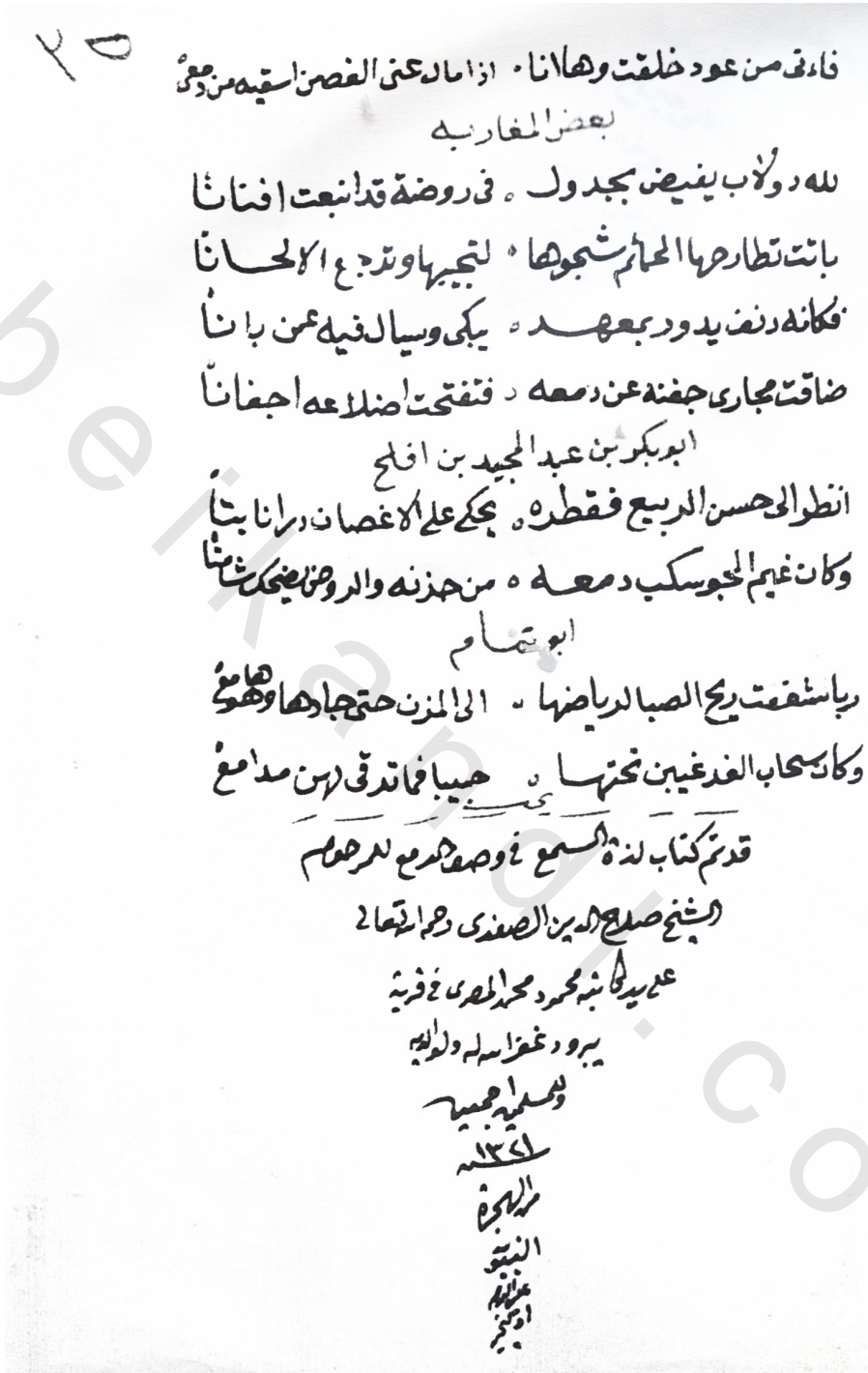

فارقني من عهود خلقت وهانا ٠ اذا مال عني الغصن اسقيه من دمعي

بعض المغاربة

لله در ولاب يفيض بجدول ٠ في روضة قد انبعث افنانا

باتت تطارحها الحمائم شجوها ٠ لتجيبها وتدع الالحانا

فكانه ونضيد ورد بعهده ٠ يبكي وسيال فيه عمن بانا

ضاقت مجاري جفنه عن دمعه ٠ فتفتحت اضلاعه اجفانا

ابو بكر بن عبد المجيد بن افلح

انظر الى حسن الربيع فقطره ٠ يحكي على الاغصان درا نابتا

وكان غيم الجو سكب دمعه ٠ من حزنه والروض يضحك شامتا

ابو تمام

رباشفعت ريح الصبا لرياضها ٠ الى المزن حتى جادها وهو هامع

وكاد سحاب الغد غيبن تحتها ٠ حبيا فما تدري امن مدامع

قد تم كتاب لذة السمع في وصف الدمع للمرحوم

الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى

على يد كاتبه محمود محمد المصري غفر له

يرود غفر الله له ولوالديه

ولجميع المسلمين اجمعين

آمين

والحمد لله

وحده

وصلى الله

على سيدنا

محمد

النبي

وعلى آله

وصحبه

اجمعين

اللوحة الأخيرة في مخطوطة الظاهرية

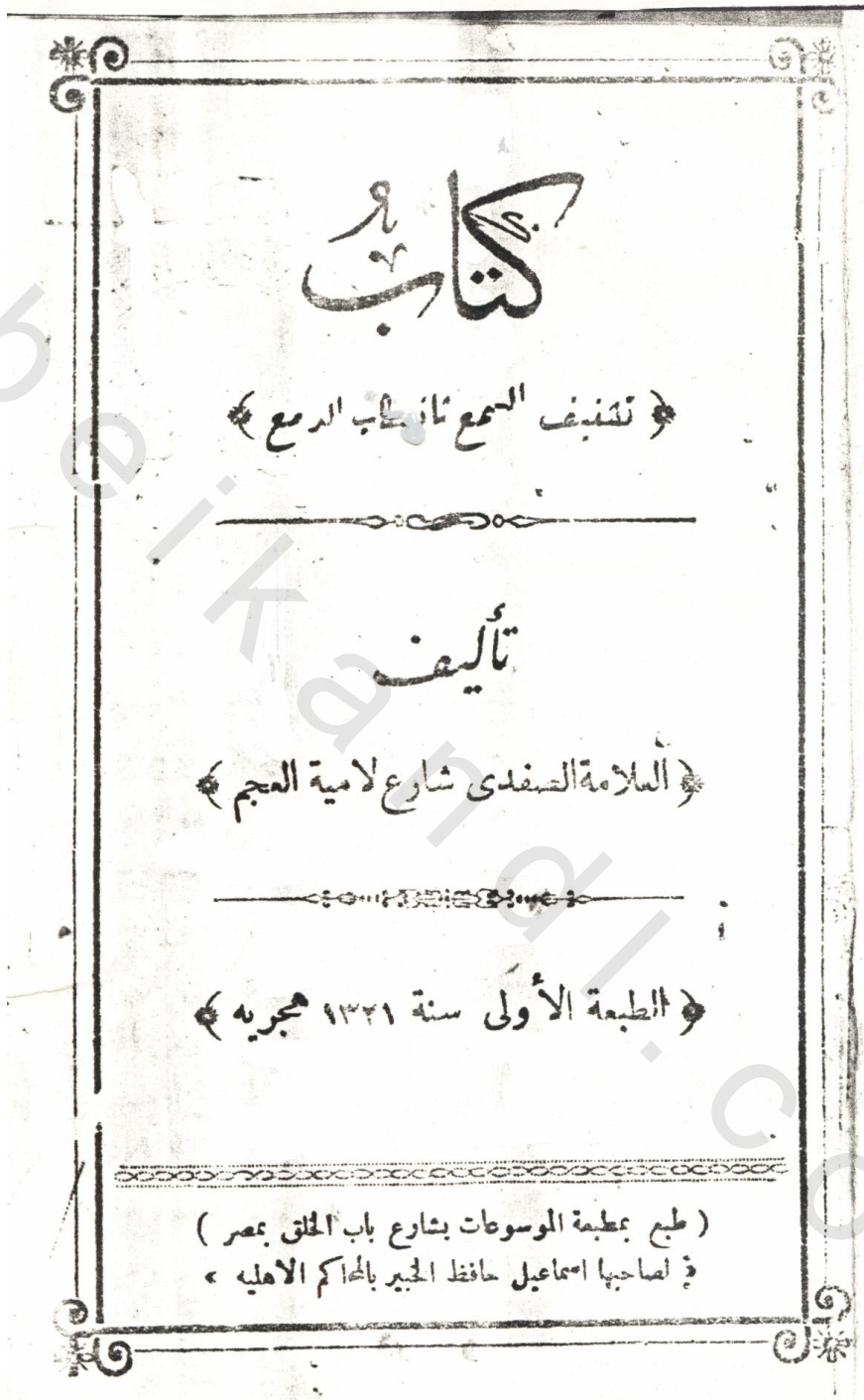
كتاب

تنشيف الدمع ثانى كتاب الدمع

تأليف

العلامة الصفدى شارع لامية العجم

الطبعة الأولى سنة ١٣٢١ هجريه

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر)
ذ لصاحبها اسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الاهليه »

غلاف الكتاب الطبعة الأولى

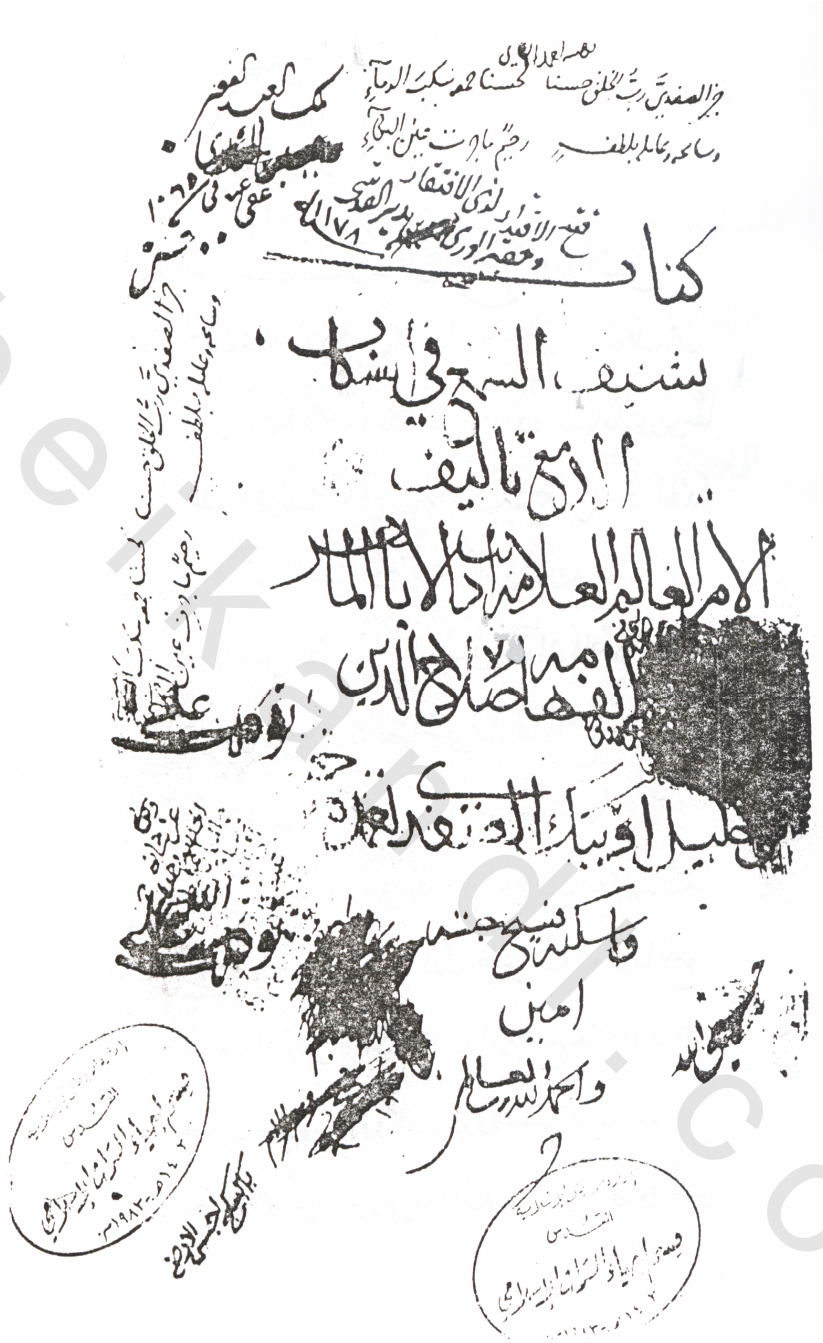
كتاب
تشنيف السمع في إسقاط
الإمام العالم العلامة
الفاضل

لوحة العنوان في مخطوطة المكتبة البديرية في القدس الشريف

القدس
قسم إحياء التراث الإسلامي
٢ ٥١٤ - ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذي جعلني ممن سما بالعلم وشمخ . وصان قلبه من
سكرات الجهل وصمخ . وملأ قلبه ملاء الآداب بالملح ، ورأى شفا
سطوره فرشف منها اللمى حين لمح احمد حمد من اقتدى بالهدي
فاصاله ما اقتدح ، وضرب صفحا عن حاسده وانتقا لما انتخ ،
وورد منهل التفويض الى الله تعالى وصفا له لما صفخ ، وذهب
الى الغض من رياض الاغصان فجنى ثمارها لما جنح
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من طفا
بها بيقينه وطفح وانتشق عرفها من حدائق الايمان فنفي البهتان لما
نفح واشهد ان محمدا عبده الذي نفض على بشر العلم لما نضح
ورسوله الذي من اتبع هداه فقد نجا ومن انضم لعلاه فقد نجح
صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين اقتبسوا من سناه لما سنح
واستفتحوا اوامره فامتثلوا ولا اجتنح صلوة تسر بها
بين

obeikandl.com

اللوحة الأولى في مخطوطة المكتبة البديرية في القدس الشريف

ما كرا الى الدارات واركب لها • محاسب اللهو دوات المراح •

من قتل الغريف سمس الضحى • ويبقى الغوادي من نعوره الاقاح •

وقال ــــــــــ

ويا شقفت رح الصبا لزيانها • الى المزن حتى حادها وهو هامع •

كان السحاب الغر عيس تحتها • حبنا فانزجى لهن سدامع •

ثم كتاب ــــــــــ تشنيف السمع في السكاب

الدمع • رحم الله مؤلفه واعاد علينا وعلى المسلمين

من بركاته وبركات علومه آمين ٥

وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة

الا بالله العلي

العظيم

اللوحة الأخيرة في مخطوطة المكتبة البديرية في القدس الشريف

تشنيف السمع بإنسكاب الدمع

لذة السمع فى صفة الدمع

تصنيف الشيخ الإمام العلامة

فريد دهره ووحيد عصره صلاح الدين أبى الصفاء

ابن عبد الله الصفدى

متعه الله ببقائه

من كتاب الفقير إلى الله تعالى....

عفا الله عنهم

تحقيق

أ. د/ محمد على داود

أستاذ الأدب والنقد فى جامعة الأزهر

وجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية "سابقاً"

* كتب مقدمته

أ.د/ صابر عبد الدايم

الأستاذ فى جامعتى الأزهر وأم القرى

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

ت: ٥٣٥٤٤٣٨ - إسكندرية

غلاف الكتاب طبعة الدكتور محمد علي داود